

روایت

# لحظیات حرجہ

Critical moments

راضی عبده

ابو

# لمنظرات عربیة

راضی عبده

الكتاب:	لحظات حرجة
المؤلف:	راضي عبده
الغلاف:	أ/ إيمان صلاح
المراجعة اللغوية:	أ/ سلام عيدة
رقم الإيداع:	2014 / 20605
التقييم الدولي:	3 - 94 - 6447 - 977 - 978
الإخراج الفني:	مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

---

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

---

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

---

العنوان: 6 ش التحرير، الدور 18، أمام محطة مترو البحوث، الدقي، الجيزة

هاتف: 0237621688 - موبايل: 01142050403

الموقع الإلكتروني: [www.prints.ibda3-tp.com](http://www.prints.ibda3-tp.com)

البريد الإلكتروني: [info@ibda3-tp.com](mailto:info@ibda3-tp.com)

# لمنظّات صوريّة

راضي عبده





(\*)

\*بدأ الأمر بمذبحة بشعةٍ راح ضحيتها الأبرياء،

\*وكان الهدف رهيباً بحق ثم اكتنف الغموض كل شيء،

\*وفجأةً، انقلبت الأحوال رأساً على عقب،

\*وتحول صيوان العرس إلى سرادق عزاءٍ

\*ليأتي السبُّ خارقاً للمألوف،

\*وكان عند مَنْ أراق الدماء أنهاراً دافعاً قوياً،

\*وجاء كتابُ الأحداث بسطورٍ مبتورةٍ وغير مكتملةٍ،

\*ورويداً رويداً تبدد الظلام ليظهر جلياً ما وراء الأكمة،

\*وسقط القناع في نهاية المطاف

\*في بُؤرةٍ حدث صعبٍ للغاية

\*مِنْ مُجمل لحظاتٍ حرجةٍ

راضي عبده



## الإهداء

\*إلى نديمة فؤادي ، وردتي الندية ، شطري الجميل.

زوجتي(معالي)..

غاليتي التي كانت حياتي، قبل قدومها، كالصحراء القاحلة. فجاءت بنبع  
الحبِّ فارتوينا منه سويًا، ثم انساب ماؤه في صحرائي فحوّلها إلى جنةِ الله  
في أرضه، فأنبئتُ زهرتي فؤادي ونوارتي عيوني، هبة الخالق -عز وجل-

رواء و فارس...

إليكم جميعاً أهدي روايتي الأولى ...

مع خالص حبي ...

راضي عبده





## المذبحة

التهبت القاهرة كغيرها من محافظات مصر بثورةٍ حالمةٍ، جمعتُ لفيماً من مختلف طوائف الشعب جاءوا من كلِّ حدبٍ وصوبٍ على اختلاف أهوائهم ومشاربهم للنزوح إلى الشوارع والميادين مفعمين بآمالٍ عريضةٍ لتحقيق حلم المدينة الفاضلة (يوتوبيا)، الحلم المستحيل عبر كلِّ العصور، وفي ذيل إحدى التظاهرات الحاشدة ترَجَّل أحدهم من سيارته صوب تلك الجموع الغفيرة وبِنشاطٍ جَمَّ سرعان ما انضمَّ إلى الجموع بفضل خطواته المتلاحقة الواثقة آزره في ذلك بنيانه المتين وقامته اليافعة التي تناهز المترين ومنكباه العريضان حيث انبثقت رأسه الصلعاء تماماً، مرتدياً حلَّةً سوداءً أنيقةً دون ربطةٍ عنقٍ.

أخذ يمسح براحته على شاربه ولحيته القصيرة، ثم عدَّل من وضع إطار

منظاره الشمسيّ ذي العدسات الداكنة على أنفه الأَقْنِيَّ كُلَّ هَنِيهَةٍ لِيخفي بها عينيه الضيقتين، وفي غمرات الهتافات المدويّة التي لم يَكْتَرِثْ لها، ولم يساندها حتى بنت شفةٍ ذهب يتلفت يمنةً ويسرةً وكأنه يستطلع شخصاً ما قد يقتفي أثره، ثم بهدوءٍ حذرٍ انسلَّ من بين الجماهير إلى أحد الشوارع الجانبية وهو يُطلق من بين شفّتيه لحناً غريباً، وبخطواته الواسعة انحرف بغتةً إلى شارعٍ ضيقٍ آخر طويلاً ينتهي بساحةٍ انتظارٍ للسيارات.

لم يكذُ يصل إلى هناك حتى اختار بنايةً محددةً ذات عشرة طوابقٍ، فدلف إليها بثقةٍ واعتدادٍ حتى إن حارس البناية الشاب لم يساوره الشك في أمره لتخمينه أنه حتماً ذو شأنٍ مرموقٍ؛ لذا لم يبادره بالسؤال عن وجهته بل أفسح له الطريق لكي يستقلّ المصعد قاصداً طابق البناية الأوسط. ولم يكد المصعد يستقرّ هناك حتى غادره وتلفّت حوله ليتأكد من خلوّ ممرّ الطابق من قاطني المبنى، فضاقت حدقتاه وأخذ يرمق بنظراتٍ حادةٍ ثابتةٍ تلك الالفة المثبتة على باب الشقة الوحيدة بالطابق التي خُطَّ عليها بكلماتٍ منمقةٍ:

(العقيد / سيف وجدي - جهة أمنية عليا)

عندها شدّ قامته بحزمٍ وعدلٍ هندامه جيداً وهو يضغط زرّ الجرس، ولم

تمض برهةً حتى فتحت الباب سيدةً رشيقةً القوام وهي ترتدي روباً منزلياً بلون الروز، في العقد الثاني من عمرها جميلة المٌحيًا باسمه الثغر ذات وجنتين ورديتين وعينين واسعتين عسليتين بأهدابٍ جذابةٍ وشعرٍ كستنائيٍّ قصيرٍ، فرسم على وجهه ابتسامةً وقارٍ هادئةً، وابتدورها قائلاً بلغةً عربيةً ذاتٍ لكنةٍ أجنبيةٍ:

- مساء الخير يا مدام، هل العقيد سيف موجود؟

أومأت له برأسها إيجاباً لتردّ تحيته، ثم قالت له بلطفٍ:

- بلى هو بالداخل، أقول له من يريده؟

أجابها باقتضابٍ:

- صديقٌ قديمٌ.

أفسحت له طريق الدخول، وهي تقول بلهجةٍ ترحابٍ:

- تفضّل بالدخول، لحظاتٌ قليلةٌ ويكون سيف قد انتهى من الدش البارد وبعدها يتشرف بلقائك.

هم بالولوج بالفعل، ولكنها استدركته وهي تلوّح له بيدها بإشارةٍ استفهامٍ حائرةٍ وقالت:

- صديقٌ قديمٌ، يا ترى مَنْ تكون؟!!

كان قد تجاوز الباب بالفعل وصار على بعد خُطوةٍ منه، فتجمّدت قدماه  
واتسعت ابتسامته الجذلة حتى شملت كافة تضاريس وجهه وتبدّلت نبرة  
صوته، ثم قال لها ببرودٍ:

- ثوانٍ وأخبره أنا شخصياً بهويتي التي لن تروق له أبداً.

ضمّت ساعديها إلى صدرها، وقالت له بحيرةٍ مُشفقةٍ:

- لا أفهم غرضك بالتحديد يا سيد...

صفق الباب خلفه بحدّةٍ، ثم قاطعها صائحاً بغلظةٍ:

- عزرائيل يا هانم!

هوى تصريحه المباغت على رأسها كالصاعقة، وبسرعة البرق استلّ مسدسه  
المزوّد بكام للصور من غمده ثم أطلق رصاصتين متعاقبتين باتجاه صدرها  
لتهوي مضرجةً في دماؤها وتطلق صرخةً ألمٍ مدوّيةٍ محاولةً أن تتشبث بها  
بالحياة ولكنها كانت صرخة الاحتضار، بترها صمت الموت الرهيب وعلى  
وجهها نُقشتُ علامات الذهول والعذاب، ومع الجلبة القوية التي أحدثتها  
صرختها المزلزلة جاء ذلك الصوت الجهوري بهتافٍ مرتبكٍ حائرٍ:

\_ ماذا دهاك يا نادين؟!

صدع التساؤل المضطرب، ثم فُتح باب الحمام على مصراعيه ليبرز منه وجه العقيد سيف وهو يرتدي برنس استحمامٍ يلف قامته الممشوقة وشعره الأسود المجعد الذي يقطر ماءً على شاربه الكث ووجهه الحليق الصارم الذي يشي بشخصٍ قويٍّ الشكيمة فرضتها طبيعة عمله كرجل أمنٍ.

كانت ملامحه في تلك اللحظة تنضح بالحيرة والدهشة الشديدة ، ولم يكد يخطو خطوةً واحدةً خارج الحمام حتى طالعت عيناه السوداوان الغائرتان ذلك المشهد القاسي الذي ارتج له كيانه كله وتزلزلت معه أوصاله؛ كانت زوجته تموج في بركةٍ من الدم القاني وقاتلٌ شرسٌ يصوب إليه فوهة مسدسٍ قويٍّ، ولثوانٍ تشتت فكره إثر هذه الملابس الطارئة التي تحيق به.

كانت هذه الحالة التي انتابته من الجمود كافيةً لأن يبادره ذلك القاتل برصاصةٍ قاتلةٍ صوبها باتجاهه ولكنه كرجل أمنٍ تلقى تدريباً على أعلى مستوى، لذا فقد تمكن من تجاوز حالة انعدام الإرادة التي اعترته وانتفض من خموله بحسم أمره بأن انحنى بسرعةٍ وخفةٍ ببراعةٍ جانباً ليتفادى تلك الرصاصة القاتلة، ولكن بالرغم من سرعة استجابته عضلاته لعزيمته القوية إلا أن رد فعله لم يكن بالسرعة المطلوبة التي تقيه الإصابة التي مني بها في

كتفه مع استقرار الرصاصة فيه، فندت منه صرخة ألم خافتة وأدها بإرادة صلبة لا تلين.

وقبل أن يعاجله ذلك القاتل برصاصة أخرى صائبة، اندفع يهاجمه ببسالة مذهشة متجاوزاً الأمتار الثلاثة التي تفصله عنه بقفزة قوية بارعة، ثم يسراه أبعد فوهة المسدس المصوّبة باتجاهه. وكان هذا من حسن طالع مع تلك الرصاصة الطائشة التي حادت عنه، ثم هوى يمينه على فكّه بكلمة قوية أودعها كل غضبه فطار لها منظار القاتل، فانتفض والدم يسيل من جانب شفته فكزّ على أسنانه بحنقٍ وغيظٍ، وبمقتٍ هائلٍ انفجر صائحاً:

- تبا لك يا رجل، كيف جرؤت على فعل هذا بي؟!

ضاقت حدقتا العقيد سيف وهو يرمى القاتل بنظرة دهشة شاردة، ثم هتف بذهولٍ مطبقٍ:

- أنت؟ لماذا تفعل كل ذلك؟!

استغلّ القاتل لحظة شروده وأودعه ركلة قوية في بطنه، تقهقر على إثرها مترين إلى الخلف ومعدته تئنّ ألماً والقاتل يجيبه بصيحة غضبٍ هادرة:

- فعلاً، لم تعد المواربة تفيد بشيء يا رجل الأمن النبیه بعد أن كشفت حقيقة شخصيتي.

وضع العقيد سيف كَفَيْهِ على بطنه وجاهد حتى يَحْجِم أوجاعه و يتمالك زمام نفسه، وهو يهتف متسائلاً بعصبية:

- ادوارد كولين! ما الدافع الذي يحوِّلك من حارسٍ خاصٍ إلى قاتلٍ خسيس؟! نظر إليه القاتل وهو يصوِّب إليه مسدسه بشراسةٍ، وسبابته تتأهب لتضغط زناد المسدس وأجابه بحقدٍ:

- أجل، ادوارد كولين! ذلك الرجل الذي سيسجِّل التاريخ أنه حاز على شرف مصرعك لهدفٍ سامٍ، ولكنَّ قبل أن أرديك لأبَدٍ أن تعلم أنه لا توجد أغراضٌ شخصيةٌ في عالمنا، والآن خذْ مني رصاصة الموت.

قال عبارته ثم قرَنَ القول بالفعل؛ وضغط الزناد بكلِّ قوَّته، وفي اللحظة نفسها تحرك العقيد سيف وانحنى بخفةٍ ثم انزلق بمرونةٍ مُدهشةٍ، ساعدته في ذلك أرضية الردهة الملساء، وفوجئ به ادوارد يعتدل في مواجهته ويلكمه بقبضةٍ فولاذيةٍ مباشرةٍ في وجهه، دارت لها رأسه بعنفٍ قبل أن يَثَب العقيد سيف ويركل مسدسه من قبضته ليتخلَّى عنه مجبراً مُطوِّحاً به جانباً، فأطلق ادوارد من بين شفثيه سُبَّةً بديئةً بزمجرةٍ غيظٍ مخيفةٍ، ومسح براحتيه على وجهه ليَجلبِ الدعم لكرامته الجريحة.

انبسطت عضلاته بقوةٍ فبدا كوحشٍ كاسرٍ احتلَّ الغضب الناريَّ فأطبق



قبضته ثم انقضَّ على العقيد سيفٍ ولَكَمَه في معدته مرةً أخرى بكلِّ قوَّةٍ، وراح يَكِيل له اللكمات المتعاقبة في كافة أنحاء جسده وبلا تمييزٍ في الوجه والصدر و العنق، حتى إنَّ العقيد سيفٍ تراجع خطواتٍ للخلف أمام شدة وطأة هذا السيلٍ من اللكمات الساحقة، التي كادت تهوي به في غيبوبةٍ عميقةٍ ما لها من قرار. وحاول جاهداً أن يتمالك وعيه الذي كان على شفا الجرف المسلوب.

بعدها قفز ادوارد يدور حول نفسه في الهواء، ثم ركله في أنفه بقوَّةٍ، وبعد أن استقرَّ أرضاً قبض على رأسه واعتصرها بكفيه الغليظين بقوَّةٍ رهيبيةٍ، ثم صاح به بمقتِّ بلغ المنتهى:

\_- بلِّغ تحيات الأصدقاء في لا نجلي لرفاك في الجحيم .

قالها وهو يدير راحته بسرعةٍ وعنْفٍ لتدور رأس العقيد سيفٍ حول محورها بفعل تلك القوَّة الجبَّارة، ثم صدرت عن العنق الملتوية صوتٌ قرقعةٍ مخيفةٍ تبعتها حشرجاتٌ متألِّمةٌ انبثقت من الحلق المفعم بالذهول المُطبِّق والعيون الجاحظة التي كان ملؤها الرعب والفرع، وانهار الكيان تماماً مع تراخي الجسد الذي تخلَّت قبضة ادوارد عنه فهوى أرضاً بلا حراكٍ تشيِّعه نظرات ادوارد المتشفية وهو يتمتم بظفرٍ:

- الوداع يا رجل الأمن الهمام.

التقط ادوارد أنفاسه بانتشاءٍ بعد المجهود الكبير الذي بذله في سبيل الوصول بهدفه إلى تلك المرحلة المتقدمة، وتأهب لتحقيق مأربه من تلك المذبحة. ولكنه تسمّر فجأةً مع بلوغ مسامعه تكةً معدنيةً لصوت مفتاحٍ يدور في رتاج باب الشقة، فأسرع يلتقط مسدسه وتوارى عن الأنظار خلف إحدى الستائر المُسدلة في الردهة، وشرع يتربّب القادم.

لم تمضِ ثوانٍ حتى دلف إلى الداخل طفلان وفتاةٌ شابةٌ، كانوا عائدين من مدارسهم على الأرجح، ومن الجليّ أنهم أبناء القتيلين. ولم يكادوا يُبصروا والديهم على تلك الحالة حتى أصابتهم صاعقةُ الإلجام فغرت أفواههم بالذهول والفرع، ثم انطلقت صرخات الطفلين هادرةً.

برز ادوارد من مَكمنه لتكتمل أركان الصدمة، وبقلبٍ صلدٍ عاجلهم برصاصتين صائبتين إحداهما في الرأس والأخرى في العنق أردتهما قتيلين في لحظةٍ واحدةٍ، أما الفتاة فمِن هَوْل الصدمة اندفعت بقوةٍ في اتجاه شرفة الشقة ناشدةً الغوث، ولكن قبل أن تصل إلى هناك وبعيونٍ سفاحٍ لم يطرف لها جفنٌ أطلق عليها ادوارد ثلاث رصاصاتٍ دفعةً واحدةً، اخترقت إحداهن حافة ظهرها ونفدت منه، لتخرج نافورةً صغيرةً من دماغها الحارة. واستقرت

الرصاصتان الأخریان فی أحشائها فنَدَّتْ منها شهقة الموت وسقطت بجسدها الضئیل أرضاً علی وجهها، مضرجةً بدمائها جثةً هامدةً، وملامح الذهول لا تفارقها.

أشاح ادوارد بصره بعيداً عنها، وران علی المكان صمّت القبور كأنه ینعی تلك العائلة التي غرقت فی نهر دمٍ جرّاء تلك المذبحة البشعة دون جريرةٍ اقترفتھا. دس ادوارد مسدسه فی غمده، وشرع فی تنفيذ مبتغاه الأصلي من مهمته، وهو یتمنی أن ینهي مهمته بسرعة.

بأعصابٍ فولاذيةٍ استلّ من جيبه مبضعاً متيناً حاداً، ثم دنا من جثة العقيد سيف وقبض بیسراه علی كفه الیمنى ثم هوى بمبضعه الماضي علی معصم الكف وقام بسحب مبضعه علی الرسغ عدّة مراتٍ، لیتدفّق الدم الدافی من الساعد وینساب حول الجثة المسجاة.

ببعض المجهود الهین تمكّن فی النهاية من بتر الكف تماماً عن المعصم ثم انتقى من مقتنيات الشقة علبةً مناسبةً وضع فیها الراحة المقطوعة وأحكم إغلاقها جيداً، ثم نزع حزامه عن خصره وأخذ یتفحصه جيداً، وبأصابعٍ مدربةٍ لخبيرٍ محنكٍ عبث فی الأزرار الزاخرة فی الحزام الناسف، لتضيء علی إثر فعلته شاشةٌ كريستاليةٌ بمؤقتٍ زمنيٍّ ما لبثت أن بدأت أرقامها الفسفورية

في العَدِّ التنازليِّ لانفجار القنبلة الزمنية التي ستمحو آثار مذبحته الرهيبة.  
وهنا تنفس الصعداء، وهو يشيع الجثث المتناثرة بأن حدجها بنظرة ازدراءٍ  
شامتةٍ، وحمل علبه الكفَّ بعنايةٍ فائقةٍ، ثم صفق باب الشقة خلفه، وغادر  
البناية بهدوءٍ مثيرٍ وابتسامةٍ جذلةٍ تعلقو شفثيه بعد أن تكَلَّتْ مهمته بنجاحٍ  
تامٍّ.

\*\*\*\*\*

بدا ذلك الصباح متبخترًا بالخمول، وغشت الأجوأ سُحَبَ الضباب الكثيفة  
منذرةً بيومٍ مُفعمٍ بالفتور، ورغم ذلك الشعور العام إلا أن نشاطًا عجيبًا دبَّ  
في جسد هذا الشاب الوسيم حليق الوجه سوى من شاربٍ مُهذبٍ قصيرٍ،  
يتوّج رأسه شعره الأسود الفاحم الذي ينسدل على عينيه الخضراوين كسربٍ  
طيورٍ يستكين مستريحًا من وعثاء السفر.

كان قد استيقظ مبكرًا ونهض من فراشه بقامته المتوسطة، وأدّى طقوس  
الصباح وانتقى قميصًا مزركشًا فضفاضًا وبنطالًا جينزًا أزرقًا عن مشجبه،  
وظفق يرتديهما بهمةٍ. ثم صفف شعره بعنايةٍ حتى بدا كمظلةٍ حانيةٍ تعلقو  
جبهته المُشربة بحمرةٍ خفيفةٍ، وبحيويةٍ ونشاطٍ جمٍّ قفز يهبط الدرج حتى  
استقلَّ سيارته البيضاء الحديثة طراز بي. إم . دابليو قاصدًا جهة عمله.

انطلق بسيارته وهو يمّني نفسه بيوم بهيج برفقة فتاة أحلامه (هيام)!

يا له من اسمٍ ذي نغمٍ موسيقيٍّ عذبٍ تطرب له الآذان، تمنى لو ظلَّ يردّده طيلة حياته، عَشِقَ سَمَتَهَا وعذوبة حديثها، أَحَبَّهَا بصدقٍ وَنَبْضَ شغاف قلبه بحروف اسمها، بل وصنع لها تخيلاً أسطورياً لا يدري من أين أوحى إليه. فرأى القمر ينير بجبينها .. والنجوم تتلألأ بثغرها.. والشمس تضيء بكفيها.. والنيذ خمر شفتيها.. والنسيم رحيق أنفاسها.. والمطر مسك طبيها.. والصيف دفء قلبها.. والشتاء لهيب حبها.. والخريف ضل عنوانها.. والربيع مدار فلکها، ولأنه يجمعه بها ملتقىً واحدٌ أثناء العمل الصحفي فهو زميلها في المجلة الفنية (نجوم الليل) لذا، فلقاءاتهما كانت شبه يومية تقريباً وكانت مشاعره تجاهها تنضج يوماً بعد يوم كبرعم ينمو شيئاً فشيئاً حتى اكتمل نموه وصار شجرةً وارفة الأغصان، حلَّ بها موسم الحصاد وتاقت لجني ثمارها. ولأنه كما يقولون (الصَّبُّ تفضُّحه عيونه)، فقد كانت عيونه تكاد تفضحه، إلا أن خوفه من قرارها كان كثيراً ما يحول بينه وبين أن يبوح لها بما يعتريه من مشاعرٍ تجاهها، ولا يدري ما الباعث لشعوره بأن لحظة الشرارة الأولى للإعلان عن حبه ستكون في هذا اليوم بالتحديد.

قطعت سيل أفكاره تلك الأبواق الغاضبة للسيارات المتكدّسة في الخلف، فانتبه إلى أن سيارته لا تزال بلا حراكٍ في ذلك التقاطع رغم أن إشارة

المرور قد أصبحت خضراء، فهزّ رأسه لينفضّ عنها انسياب أفكاره، ثمّ مدّ ذراعه خارج النافذة المجاورة وفردَ كفه لتهدئة السائقين الثائرين، ثم ضغط دواسة الوقود لتنتقل السيارة في طريقها المعتاد حتى استقرّ بها المقام في المكان المخصّص لها بمرأب مبنى المجلة التي لم يكدّ يدلف إليها حتى بادر عامل المجلة بوجهٍ بشوشٍ قائلاً:

- صباح الخير يا رامز. كيف حالك اليوم؟

رفع رامز يده عن سطح المكتب الذي كان ينظّفه، ثم اعتدل والتفت إليه، وقال له بسعادة:

- صباح النور يا أستاذ طارق. الحمد لله، أنا بخيرٍ وأنتَ كعهدي بك دائماً؛ شعلتُ تموج بالنشاط والحيوية، كأول شخصٍ يأتي لمقرّ المجلة.

وضع أنامله على جبهته، ثم أشار إلى الداخل واستدرك قائلاً:

- ولكن باستثناء هذه المرة؛ فالأستاذة رئيسة التحرير قدّمت قبلك ببضع دقائق، وأوصّني أن أخبرك بأنّها تريدك في حال وصولك إلى هنا.

أوماً طارق برأسه فاهماً، ثمّ طرق باب حجرة رئيسة التحرير فأذنت له بالدخول فدلف وابتسامته الهادئة لم تفارق وجهه الوسيم، فبادلته التحيّة وهي تجلس خلف مكتبها و نظرت إليه من خلف نظّارتها الطبية بعيونها

السوداء، وعدّلت إطارها على أنفها الطويل الذي يتوسط وجهها الأبيض بفضل مساحيق التجميل، ثم أشارت إليه بالجلوس فاختر أريكةً وثيرةً وجلس عليها، وانتبه وهي تقول له بلهفة:

- الموضوع الذي أريدك بشأنه يا طارق هامٌ للغاية، لذا أريدك أن تكون اليوم في أوج همّتك.

اعتدل طارق في مجلسه وشفّ وجهه باستفسارٍ حائرٍ عن ماهية هذا الأمر الهامّ، فقال متسائلاً:

- خيراً يا أستاذة مروة، ما هذا الأمر الهامّ بالضبط؟

توقّفت عن تصفّح الأوراق التي أمامها ونحّتها جانباً، ثم عقدت أصابعها أسفل ذقنها و أجابته بحماس:

- كما تعلم أنّ النجم الأمريكيّ الشهير (توم كروز)، يستعدُّ في هذه الآونة لتصوير مشاهد فيلم جديد لسلسلة أفلام الأكشن «المهمة المستحيلة»، وكان قد وقع اختياره على القاهرة لتصوير أحد هذه المشاهد الخطيرة عند أهرامات الجيزة بالتحديد، ولذلك أريدك أن تذهب إلى هناك وتحاول الحصول على حديثٍ صحفيٍّ لفتى هوليوود الأول، ثم توافيني بالتفاصيل الكاملة لهذا اليوم، وسيعاونك في ذلك الأمر زميلك المصور رؤوف.

صمتت برهةً ثم غمزت بطرف عيناها إليه بإشارةٍ ذات مغزى خفيٍّ، وهي تستطرد قائلةً بخبثٍ:

- وسترافقك أيضاً هيام في تلك المأمورية، لعلها تكون فال خيرٍ و تأتي بالبشرى.

أطرق طارق رأسه وأرعى عينيه إلى الأرض، وهو يحاول أن يحجب ابتسامه خجلٍ قفزت إلى شفثيه، مع تخضُّب وجهه بحمرةِ الحَرَجِ لدى سماعه ذلك القرار الذي لم يكن يتمنى أفضل منه هذا اليوم.

كان يعلم أن قصة حبه أقوى من أن تُحتجب؛ فالجميع يعلم بأمرها رغم أنها لم ترَ النور بعد، لذا وَقَرَ في أعماقه حتميةِ إزاحة الستار عنها حتى تكون واقعاً ملموساً وليس خيالاً محضاً ليتنعم بها ما بقي له من عمرٍ.

فاعتدل ثم قال ببرودٍ مصطنعٍ:

- ما الداعي للزميلة هيام في لقاءٍ بسيطٍ كهذا؟ فالصديق رؤوف كان يكفي و...

لم يستطع أن يكمل عبارته، فبترها مع اتساع ابتسامه رئيسة التحرير وتحوّلها إلى قهقهةٍ صاخبةٍ وهي تشير إليه، وهدأت ضحكاتها تدريجياً ثم قالت بمكرٍ:



- كما يحلو لك! هيا اذهب فقط برفقة زميلك رؤوف لتغطية هذا الحدث.

عبس وجه طارق وأسقط في يده، فلم يستطع أن يتفوه بكلمة واحدة، حينها نهضت رئيسة التحرير من خلف مكتبها، وتوجهت إلى البراد والتقطت منه زجاجة مياه معدنية ارتشفت بعضها قبل أن ترمق ساعة الحائط ثم أشارت إليه بأساريرٍ منفرجةٍ قائلةً:

- هيا أيها الصحفي الهمام، لا داعي لإضاعة المزيد من الوقت، زميلتك هيام والمصور رؤوف في انتظارك الآن في موقع الحدث، فلقد بيئت الأمر معهما أمس.

لم تكذ تنتهي من عبارتها حتى نهض طارق من مجلسه وغادر مقرّ المجلة مُنطلقاً بسيارته كالمسهم صوب سفح الأهرامات، وهناك طالعه نجم هوليوود وهو يهبط في المروحية بعد معاينة مكان التصوير فوق قمة الهرم الأكبر، ولم تكذ أقدامه تمس هضبة الأهرامات حتى تكأأ المعجبون والصحفيون عليه وكل له هدفٌ مختلفٌ.

لم يسترع ذلك انتباه طارق، بل كانت كل حواسه تترقب رؤية فتاته التي لمحها مرتدية تنورتها الرمادية وبلوزتها المطرزة باللون البرونزي، وهي تتهادى باتجاهه برفقة المصور الشاب رؤوف، بوجهها المستدير كالبدر،

وَتَغْرِهَا الدقيق كثرمة الكرز الناضجة، وَخَدَّهَا الأَسِيل، وشعرها الأسود الناعم  
القصير المُطَعَم بِخصلاتٍ ذهبيةٍ والمسدول حتى كتفيها، فأُثْلَج صدره وهو  
يقترب منهما بابتسامةٍ مُشرقةٍ وصافحهما بِجُبُورٍ ثم قال لهما بلطفٍ:

- مرحبًا يا رفاق، لقد سُررتُ حقًا برؤيتكما. هيا ننجز مهمتنا ثم نستمتع  
بالأهرامات والتنزه بالحياد، عشقي الأثير .

أومًا برأسيهما موافقةً وأزاحتُ هيام خصلةً نافرةً من شعرها عن جبهتها  
الملساء، وقالت وهي تشير إلى النجم الشهير بحماسٍ:

- لقد حانت ساعة العمل، إذن هيا بنا!

وهمتُ أن تتحرك، ولكن طارق أشار إليها بالتوقف وهو يقول بلهجةٍ غَيرةٍ  
واضحةٍ:

- اتركي لي هذه المهمة يا هيام، وتهيئي للحديث معي بعد ذلك في أمرٍ  
هامٍّ للغاية.

قال عبارته وانطلق برفقة المصور رؤوف، صوب المظلة الواقية التي يجلس  
أسفلها نجم هوليوود، وتركها في لُجّةٍ من أفكارها حول ماهية ذلك الحديث،  
وفي تلك الأثناء كانت المروحية تحلقُ عاليًا باتّجاه قمة هرم خوفو وقد  
استقلّها دوبلير أمريكيّ، وفي إثرها مروحيةٌ أخرى لتصوّر المشهد الخطير

الذي سيؤديه البديل، فاشرأبت أعناق المشاهدين يترقبون البديل وهو يتهباً للقفز من المروحية على قمة الهرم الأكبر بعد أن اشتعل خزان وقودها إثر إصابتها بسيلٍ من الطلقات النارية من خصومه. واضطر أن يتخلى عنها لتنفجر في السماء بعد ذلك، وبالفعل أدى البديل المشهد ببراعةٍ يُحسد عليها.

بعدها انصرفت الأبصار عن متابعة الحدث، تزامن ذلك مع اقتراب مروحية المخرج وطاقم التصوير لأخذ البديل على قمة الهرم، وبالفعل اقتربت المروحية من القمة وبسبب خطأ في التوجيه انحرفت المروحية بضعة مليمترات عن مسارها ليجد قائدها قمة الهرم في مواجهته فارتبك بشدة وهو يحاول العُدول عن مساره، ولكن كان الفشل حليفه ليحدث الارتطام المرؤّع مع دوي الانفجار الرهيب للمروحية.

فخفقت الأفئدة بقوةٍ وشهقت الحناجر بذهولٍ عارمٍ مع توابع ذلك الانفجار بذلك الحجر الضخم الذي تخلف عن قمة الهرم وانحدر منزلقاً لهنيهةً على السطح الملاط بطبقةٍ ملساءٍ من الحجر الجيري ثم تدرج هابطاً على الأحجار المدرّجة قاصداً القاع، حينها أبصر طارق ما حدث فهاله ما يرى؛ فالحجر الهائل في طريقه ليكون مستقره نطاق تواجد حبيته هيام، التي كانت الاجواء من حولها تضطرم بصرخات الفزع والهلع والجميع يهرول

بلاهدى في محاولة للفرار من شظايا الانفجار، فغرفاه واتسعت عيناه  
بذهول وهو يراها تطلق صرخات خوف هستيرية والأدهى مع إجماع  
الربح لكيانها تيبست عضلاتها فتجمدت قدماها وبدت عاجزة عن الحركة  
حتى قيد أنمله.

ولأن المسافة بينهما لا تسنح له بالعدو لإنقاذها من الهول الناشد رأسها  
لذا فقد تمالك رباط جأشه وهو يلمح ذلك الجواد الأدهم القريب، وعلى  
الفور وثب على صهوته ولكزه في بطنه بكعبيه بكل قوته وجذب لجامه  
لتوجيه دفته بحزم صوب حبيبته فأطلق الجواد صهيلاً قوياً مستجيباً لإرادة  
فارسه، فانطلق بأقصى سرعته كالسهم فأصبح من الموريات قدحاً بحق،  
وكان صراعاً قاسياً في مضمار السرعة، أيهما يستحوذ على هيام قبل الآخر؛  
الجلمود الصلد الجاف من المشاعر أم قلب نبضه هواها؟!!

وجاء الجواب بالحسم في مشهد أسطوري مبهر، حينما دنا طارق من هيام  
وبسرعة لف ساقيه حول بطن الجواد وأحكم قبضة يسراه على اللجام ومال  
بجسده وفرد ذراعه على مدى اتساعها و طوق خصرها بيده ليلتقطها عن  
الأرض ويضعها أمامه على متن الجواد البارق، متجاوزاً منطقة سقوط الحجر  
الهائل بكسر من الثانية ليرتطم جلمود الصخر بالأرض ارتطاماً عنيفاً ليُردي  
من كان في مجال سقوطه وتتناثر شظايا حطامه بقوة لتلحق إصابات لضحايا

آخرين، وتنفس طارق الصعداء بنجاة معشوقته، عندها لا يدري كيف وافته  
الشجاعة بعد ذلك الموقف العصيب بأن يقول لها بحرارة:

- هل تتزوجيني يا هيام؟!

حينها وبالرغم من كل ما حاق بها من فزع إلا أنها في تلك اللحظة الفارقة  
ضرج الخجل وجنتيها وشفّ محيّاها عن ابتسامه حياء عذبة،  
ورقص قلبها فرحًا.

## ظل الجريمة

لم يكذُ أكرم ناجي ذلك الرجل الأربعيني قوي البنية ، خمري البشرة ذوالوجه  
البيضاوي والعينين الزرقاوين، يدلّف إلى منزله حتى هتف بسعادةٍ غامرةٍ:

- أين أنت يا حنان؟ لقد...

بتر عبارته بغتةً وهو يحدّق ذاهلاً في فوهة المسدس المصوّبة باتجاهه  
ياحكامٍ بقبضة ذلك الرجل الجالس بردهة منزله على مقعدٍ مواجهٍ للباب  
واضعًا ساقه على الأخرى، فانتفض وهو يستطرد متسائلاً بنبرةٍ خوفٍ:

- مَنْ أنتَ يا رجل؟ وماذا تفعل في منزلي؟

لوّح إليه ادوارد بمسدسه أن يوصد الباب خلفه، فأطاعه بيدٍ مُرتعشةٍ قبل

أَنْ يجيبه بهدوءٍ مثيرٍ:

- أنا هنا مَنْ يقرّر متى يكون السؤال والجواب يا هذا، والأفضل لك ألا تغفل عن ذلك الأمر وإلا ستكون العواقب وخيمةً عليك.

صاح أكرم منادياً زوجته، فجأوبه رنين صمت منزله الخاوي، فهمم أن يبحث عنها في الحجرات ليطرد تلك الهواجس المخيفة التي ماجت بعقله فانسحقت رغبته تحت وطأة الكلمات الصارمة التي اخترقت مسامعه بحدّة:

- زوجتك وطفلك في أمانٍ حتى تنفذ ما سأمرك به، ولو رفضت...

سحب ادوارد طرف مسدسه على عنقه، وهو يستطرد قائلاً بحزم:

- فالذبح هو مصيرهما الحتمي.

ابتلع أكرم قطرة ريقٍ رطبٍ بها حلقة الجاف وزفر بمرارةٍ وهو يستند بكفه على الجدار لكيلا يسقط أرضاً، ثم تمت بصوتٍ مضطرب:

- ماذا تريد مني بالضبط؟

انتصب ادوارد واقفاً وتخلّى عن مقعده ودس مسدسه في غمده، بعد تيقنه من أن أكرم قد أصبح عجيبةً ليّنةً يسهل تشكيلها، ثم دنا منه وهمس في أذنه بفحيحٍ كالأفعى الرقطاء:

- تذكُر ما فعلتَ بمصرف روما منذ سنتين، حينما اخترقتَ حسابَ العملاء به وحوّلتَ منه مليوني ليرةٍ إلى حسابك الخاص.

انتفض جسد أكرم بقوةٍ كمن لدغه عقربٌ سامٌ، وحدّق فيه بعيونٍ جزعةٍ وجفف عرقًا توهمه على وجهه، ثم تمتم مضطربًا:

\_ كيف علمتَ بهذا الأمر الذي لا يعلمه سواي و...

ارتعدت فرائصه عندما بلغت أفكاره تلك البؤرة المخيفة التي حاول جاهدًا أن يتناساها ولكن هيهات! فالماضي هبّ من مرقدِه ليُحيل حاضره كابوسًا داهمًا، تيقن من ذلك وأصابه الإلجام مع ضحكةٍ خبيثةٍ بدت لها نواجذ ادوارد قبل أن يقول بتصلّفٍ:

- أنا من ذاك الفريق الذي تعهدك بالحماية طيلة الفترة الماضية وجنّدك للعمل لحسابه في روما، ثمّ غصّ الطرف عنك فأصبحتَ مهملاً بعد عودتك إلى القاهرة فصرتَ (جاسوسًا نائمًا)، وقد حان الوقت لتنشيطه من خموله لحاجةٍ ملّحةٍ.

دسّ يده في جيبه وأخرجها حاملةً فلاشةً لتخزين البيانات ذات سعةٍ عاليةٍ وقدمها إليه فالتقطها أكرم بأصابعٍ مرتجفةٍ وهزّ كتفيه بحيرةٍ، وادوارد يتابع قائلاً:



- بصفتك خبير كمبيوتر لا يُشَقُّ له غبارٌ، ستكون بعد ساعةٍ من الآن داخل الحصن المنيح لمباحث أمن الدولة الذي سيتهاوى تحت أقدام الآلاف من المتظاهرين حسب الخطة الموضوعة سلفاً. عامّةً، كلّ المعلومات التي تحتاجها ستجدّها على هذه الفلاشة، ولا تنسى تميمة هذه العملية.

نقل أكرم بصره عن الفلاشة، وحدّق في ادوارد بنظرةٍ مضطربةٍ، والأخير يلتقط عن منضدةٍ مُجاورةٍ علبةً صغيرةً فتحها في مواجهةٍ أكرم الذي لم يكذب يرى ما بداخلها من كَفٍّ مقطوعٍ حتى أصاب معدته غيثانٌ مفاجئٌ فانتثنى جذعه وتقيأ ما في جوفه في مشهدٍ مُقرّزٍ للغاية، فامتعض وجه ادوارد وهو يضع العلبة كما كانت، وقال بازدراءٍ:

- ويحك يا رجل! لا تكن بهذا الضعف، فأمامك مهمةٌ تحتاج منك إلى تضاfer كلّ قواك لتحقيق النجاح المرجوّ منها، وتقي زوجتك وطفلك شرّ الذبح.

قال عبارته ثم دار على عقبيه وانصرف بعد أن أيقن في قرارة نفسه أنه ترك الأثر المنشود الذي لن يستطيع أكرم بعده الفكك من تنفيذ المخطّط كما قدّر له بعد اكتمال ترويضه وإخضاعه.

وبالفعل كان أكرم كاسف البال في تلك الأثناء يقاسي أشدّ لحظات حياته كرباً وفزعاً، فهذا الرجل لم يدع له مناصاً يلوذ إليه بعد أن وضعه بين شقيّ

الرحى بلا رحمة. فحاول جاهداً أن يملك زمام نفسه مع عريضة الأفكار المُخيفة بعقله وهو يلتقط جهاز التوجيه ويضغط أزراره ليشغل التلفاز ويستقرّ به المقام عند قناة الجزيرة الإخبارية ليتابع الأحداث الملتهبة، وبالفعل طالعت الشاشة المُجسّمة بتحركاتٍ حاشدةٍ للمتظاهرين في الشوارع تنبئُ بأمرٍ جليلٍ بتصعيدٍ سيحدث، فأيقن أن الأمر جدٌ خطيرٌ بالفعل. هُرِعَ إلى جهاز الكمبيوتر ودفع طرف الفلاشة في المكان المخصص لها، ثم ضغط زرَّ تشغيل الكمبيوتر ليتصفح محتواها وهاله ما رأى فكلَّ تفاصيل العملية كانت موجودةً بالفعل، وهنا حسم أمره وقرر مرغماً الرضوخ للأمر الصعب فسحب الفلاشة ثم دسّها في جيبه والتقط علبة الكفّ بتذمُّرٍ وغادر منزله مُستقلاً سيارته قاصداً القلعة المخيفة التي لم يكن أحدٌ يجرؤ على المرور بجوار أسوارها العتيبة قبل هذا المساء.

في نطاق مبنى جهاز مباحث أمن الدولة بمدينة نصر، كانت جموعٌ غفيرةٌ لمتظاهرين يقومون بهجومٍ بريٍّ كاسحٍ لسياح و أبواب المقرّ بهدف اقتحامه بعد حصارٍ لم يَدُمَ طويلاً. ومع ذلك الطوفان الهائج من أمواج البشر المتلاطمة وبحر الأجساد الثائرة لرجالٍ وشبابٍ وحتى فتياتٍ كانوا يتدافعوا بقوةٍ كالسيل العَرمِ لاقتحام هذا الحصن المنيع.

لذا لم تصمد دفاعاته طويلاً وانهارت ليسقط هذا الرمز في قبضة هؤلاء المُتجمهرين لتعصف بأروقة المبنى حالةٌ عارمةٌ من الهرج والمرج في كافة طوابقه ومكاتبه، فأصابت الكيان حالةٌ عامةٌ من التخبط والعشوائية انتابت المتظاهرين، فراحوا يتشاجرون على أوراقٍ ينتزعونها من بعضهم بعضاً عنوةً يظنونها تحوي أسراراً خطيرةً ووثائقَ هامةً، بل وقاموا بقذف ما يقع في طريقهم على الأرض من قطع الأثاث الفاخرة ومكاتب وأجهزة كمبيوتر وحتى أوصال الزرع لم تسلم منهم لتكتمل أركان المؤامرة لتخريب المبنى وإتلاف المستندات والملفات الهامة التي وجدوا أكواماً منها قد تمّ فرمها بالفعل مع مئاتٍ من الأسطوانات المُدمجة المكسورة.

وهذا ما شجّع أكرم وبثّ في أعماقه الحماس والطمأنينة لولوج المبنى مع مشاهد الاقتحام المُشجّعة؛ وبالفعل انطلق واثباً على درج المبنى مخترقاً الحشود إلى جهةٍ لا يعلمها الكثيرون. وبعد وصوله إلى الطابق الأخير من المبنى دلف إلى ذلك الممر الطويل، فسار فيه حتى بلغ نهايته ثم انحرف إلى ذلك الدهليز القصير وبعد عدّة خطواتٍ توقّف والتقط أنفاسه وترتّب قليلاً ثم تلقّت حوله واطمأنّ عندما لم يلمح أحداً من المتظاهرين في مجال بصره، حينها رمق بنظرةٍ حادةٍ مُتفحّصةٍ تلك الغرفة السريّة التي لم تطأها الأقدام الغريبة من قبل، وتفرّس بابها الحديدي ذا الشاشة الإلكترونية

الفاحصَة على جانبِ إطاره، وبعدها أسرع بفضِّ علبة الكف وأخرج الراحة المبتورة منها وألصقها على سطح الشاشة التي قارنت بصمة الراحة بالبصمة الوحيدة المسجلة لديها، وما هي إلا ثوانٍ حتى انزاح الباب على الفور ليدلف إلى الحجرة بخطى متأرجحةٍ من شدّة اضطرابه لوصوله إلى قلب هدفه.

ازدرد لعابه بصعوبةٍ وهو يجلس خلف المكتب الوحيد في الحجرة وضغط بسبابته زرّ تشغيل جهاز الكمبيوتر الملحق بها، فطالعة على منتصف الشاشة مستطيل لإدخال كودٍ سرّيٍّ لفتح الجهاز، فنقّب في ذاكرته على الأرقام التي حوتها الفلاشة وهو ينقر على أزرار الكمبيوتر بتوترٍ، واندھش مع الرسالة التالية التي أفادت بأنّ الكود السريّ كان خاطئاً فارتبكت أعصابه بقوةٍ وهو يحاول جاهداً أن ينتبه ويركّز ذهنه جيّداً ليحلب الأرقام الصحيحة وبالفعل ما هي إلا لحظةٌ حتى ضغط الأرقام بدقّةٍ ليتجاوز شفرة الرتاج الإلكتروني ويتمّ الدخول بأمانٍ، بعدها دسّ الفلاشة في تجويفها وشرع يحاول أن يخترق أيقونات الملفات والوثائق بالغة السريّة والخطورة.

اصطدم مرّةً أخرى بكلمةٍ سرٍّ مُعقّدةٍ فتصاعدت دقات قلبه وتوتّرت أعصابه بشدّةٍ لعلمه أنّه لو حاول استخدام كلمات سرّ ثلاثٍ مراتٍ متتالعةٍ، حينها سيصبح من رابع المستحيلات أن يحصل على تلك الملفات السريّة لأنّ

النظام الأمني الصارم حينذاك سيتعامل مع محاولة الاختراق الدخيلة بحزمٍ  
ويمحو الأيقونات عن الكمبيوتر تمامًا.

حاول أن يلتمس الهدوء وشفَّ وجهه عن تصميمٍ وإرادةٍ شديدةٍ، وقرَّر  
أن يقبل التحدي فهو مضماره البارِع به كخبيرٍ كمبيوترٍ محترفٍ، فنقر على  
أيقونة الفلاشة واستخرج منها برنامجًا خبيثًا يحتوي على شفرةٍ خاصَّةٍ مثل  
حصان طروادة لاختراق وحلِّ الشفرات السرية كان قد صمَّمه بنفسه وقام  
على الفور بتنصيبه على الكمبيوتر، ثم جلس يترقب بأنفاسٍ لاهثةٍ وكأنَّه  
يُسابق الزمن.

سرعان ما تعامل البرنامج مع الطرف الراهن ودخل إلى الأيقونات عبر بوابةٍ  
خلفيةٍ متجنِّبًا كلمة السرِّ المُعقَّدة، ثم طوَّق نظام الحماية الدفاعيَّ بها  
وانقضَّ عليه ليقتمح قلب الأيقونات وينجح في السيطرة عليها تمامًا، عند  
هذا الحدِّ تنفَّس الصعداء وأسرع بفتح الملفات السريَّة وقام بنسخها على  
الفلاشة التي نزعها بعد ذلك من تجويفها ودسَّها في جيبه وأسرع بمغادرة  
المكتب وتحرك بخفةٍ وهو يتلَفَّت حوله بحذرٍ وبخطواتٍ أقرب للعدوِّ.

تجاوز نهاية الدهليز ولم تكد قدماه تمس أرضية الممر حتى فوجئ على  
مرمى بصره بضابطين يبرزان في نهايته وما إن لمحاه حتى هتف أحدهما

بحزم:

\_ توقف يا هذا وإلا أطلقنا عليك النار.

همَّ أن يرفع ذراعيه مستسلمًا، ولكنّه وأد الفكرة بحدّة في مهدها بعدما حامت في مخيلته صورةٌ بشعةٌ للمصير الذي ينتظره مع وصمةٍ بالخيانة، فدار على عقبيه يزمع الفرار، وفي الحال ارتفعت فوّهات بنادقهم الآلية بحزمٍ وأطلقا عليه وابلًا من النيران أصابت أرضية الممر على بُعد سنتيمتراتٍ من قدميه التي قفزت وهو يطلق صرخةً رعبٍ هائلةً، وانحرف بسرعةٍ داخل الدهليز فتبيّن موقعه ليجد أن الدهليز نهايته مسدودةٌ وليس به منفذٌ سوى حجرة الوثائق السريّة.

ومع تصاعد وقع أقدام الضابطين وبلا تفكيرٍ، أسرع يلوذ بالحجرة و كان من حُسنِ حظه أن الكفّ المبتورةً قد رقدت أرضًا فأعادت إغلاق الباب فركلها بقدمه للدخل، ثم هجم على الحجرة و صفق الباب خلفه، وهنا انتبه للحقيقة المفزعة مع ذلك الفخّ المطبق وعصف عقله للبحث عن مخرجٍ من ذلك الحصار الذي أصبح فيه كالفأر في المصيدة وجال ببصره في جوانب الحجرة حتى يهتدي لسلحٍ يدافع به عن حياته.

فجأةً، برقت بفلك عقله فكرةٌ مجنونةٌ مع رؤيته لذلك الكابل الكهربائي

الغليظ الملفوف في أحد الأركان، وفي تلك اللحظة تصاعدت جلبةً قويةً خارج الحجرة مع وصول الضابطَيْن اللذين راحا يطلقان النيران على الباب الحديديّ المُصَفَّح، قاصدين تحطيمه.

ازدرد أكرم لعابه وجفَّ عرقًا غزيرًا تصبَّب على قسَمات وجهه لعلمه أن الباب لن يصمد طويلًا حين يصعدون الهجوم ويقررون أن يقتلعوه بالقنابل، فشرع في تنفيذ فكرته العجيبة؛ فأسرع بالتقاط الكفِّ المقطوعة وألصق إبهامها على مربعٍ شفافٍ صغيرٍ بإطار نافذة المكتب، وسرعان ما انفتحت النافذة إلكترونيًا، فطَوَّح الكفَّ جانبًا ثم أسرع يعقد طرف الكابل في مقبض الباب الحديديّ للحجرة، ثم طَوَّح لفة الكابل خارج النافذة وأسرع باعتلاء إطارها ثم قبض على الكابل بكلِّ قوَّته ليترك جسده قيد الانزلاق متدليًا من الطابق الرابع، وعقله يموج بتساؤلاتٍ شتى أبرزها السؤال المثير:

«وماذا بعد؟!»

ولم تكد قدماه تستقرَّ أرضًا حتى واثاه الجواب الحاسم مع مَنْ كان في انتظاره بالأسفل، عندما وجد مجموعةً من إحدى القوَّات الخاصَّة بالجيش في انتظاره يقومون بتطويقه وقد صوَّبوا عليه فوهات أسلحتهم الثقيلة، عندها فقط أيقن أن الفخَّ هذه المرة قد أطبق فكَّيه عليه بقوةٍ. حينها لم

يجد أمامه مفرًا آخر سوى الاستسلام التام دون قيدٍ أو شرطٍ.

مطَّ ذلك الرجل البدين شفتيه بامتعاضٍ، واسترعى انتباهه وهو يتابع شاشة التلفاز وما تبثه قناة سي. إن. إن الإخبارية الأمريكية من مشاهد لحظة القبض على أكرم ناجي بفناء المبنى الرئيسي لمباحث أمن الدولة مع استعراض الدور البطولي لجنود الجيش في إخماد النيران التي اندلعت في المبنى بعد ذلك، تأقَّف بضيقٍ وهو يُشبح بوجهه عن شاشة التلفاز ثم التقط هاتفه الخليويَّ وجلب آخر رقمٍ حادثه ثم مسح عليه بأنملة سبابته للاتصال به ومع شدة غضبه كاد الهاتف ان ينسحق من وطأة قبضته عليه ، ولم يكد الطرف الآخر يُجيز المكالمة حتى هتف به بصرامةٍ:

\_ أرايتَ عاقبة سوء اختيارك أيها الادوارد الأحمق؟! وما أوصلتنا إليه من فضيحةٍ كبرى مدوية ستَهزُّ أركان دولتنا بمحاكمة هذا الفاشل؟!

أتاه صوت ادوارد عبر أثير الهاتف، وهو يقول له بصوتٍ مفعمٍ بالمرارة :  
- لا أعلم كيف فشلت هذه العملية يا سيدي، بالرغم من أن كل الظروف كانت مواتيةً للنجاح؛ فالقاهرة تموج بثورةٍ لا أحد يكبح جماحها، وكل عمليات التخريب التي تمَّت لم يتهم فيها أحدٌ وقُيدتْ ضدَّ مجهولٍ.  
اصطكَّت أسنان البدين بغضبٍ، ثم صاح بغلظةٍ:



- لقد كانت نظريتي صائبةً منذ البداية؛ فالأنسب لهذه العملية كان إيلان جرابيل، ولكنّ للأسف الرؤساء لم يأخذوا بها وفضلوا عليها رؤيتك الفاسدة. قال له إدوارد بثقةٍ:

- هذا من حسن الحظ، فلو أنّ إيلان هو الأسير لكانت فاجعةٌ مُزلزلةٌ بكلّ المقاييس، فكما تعلم أنّ القبض على ضابطٍ مخبراتٍ معادٍ ليس أبداً كالقبض على مُتخابرٍ يمكن التنصّل منه ببساطةٍ، كما أنّ إيلان لم يوطّد أقدامه بعدُ وسط الثوار، وملاحه الأجنبية كانت ستكشفه بسهولةٍ لتعارضها مع دخوله مبنى أمنيٍّ مع متظاهري الوطن.

قال له البدين بحدةٍ:

- في كلّ الأحوال، هي كارثةٌ ستحلّ بنا بمحاكمة هذا الغبي الذي يعرف عنا الكثير، منذ عملية مصرف روما. وحتى لا يتفوه بحرفٍ واحدٍ لأبَدٍ من إخراسه للأبَدِ بخطةٍ محكمةٍ و...

قاطعة ادوارد بلهفةٍ مُتسائلاً بحيرةٍ:

- قبل ذلك ماذا سنفعل مع زوجته وطفله الآن؟

فطن البدين لمراد ادوارد بتغيير دفة الحديث حتى يمتصّ غضبه، فطاف شبح ابتسامةٍ على طرف شفّتيه وصمت لثوانٍ وفكّر ملياً ثم قال برصانةٍ:

- اطلق سراح ما بحوزتك من رهائن، فلم نعد بحاجة إليهم، ولكن حذرًا أن يكشفوا هويتك، انتظر هاتفاً مني أخبرك فيه بخطّة عبقرية سنجمع بها كلّ خيوط اللعبة في أيدينا، ثم ندحر الملك عن رقعة الشطرنج.

قال عبارته ثم تناسى غضبه مع إعجابه بخطّته الحاذقة، فتحوّلت ابتسامته إلى قهقهةٍ صاخبةٍ بلغت مسامع ادوارد قبل أن يُنهي البدين المحادثة، فتجهم وجهه وغمغم بحنقٍ:

\_ تَبًّا! أطلق سراحهم، يا لتلك الأوامر البغيضة التي لا تليق بي كإدوارد؟!

تأفّف بغيظٍ وهو يفتح خزانته السريّة وأخرج منها قناعاً مطاطياً رقيقاً تختلف قسماته عن ملامحه تماماً فثبّته جيّداً على وجهه، ثم هبط درجاً محدوداً داخل منزله ينتهي بباب قبو، فتحه ودلف إليه، وهناك توقّف ومدّ بصره يرمق ذلك الجانب الخالي من رهينتيه وانتابته الحيرة الشديدة.

قبل أن يبادر بفعل شيءٍ امتدّت تلك اليدان السمراوان لتعاجله بضربةٍ قويةٍ من تمثالٍ فخارٍ هوى على مؤخرة رأسه، فلم يستطيع أن يتمالك نفسه فدارت به الدنيا وهوى على وجهه بلا حراكٍ مغشياً عليه، بعدها ظهرت من خلفه تلك السيدة المضطربة ذات القوام القصير والوجه النحيل بشعرها المضفور، وتنفّست الصعداء وهي تهتف بانفعالٍ جارفٍ:

\_ هيا بنا يا آسر، نفرُّ بجلدنا من هذا المكان المقيت.

برز من ذلك الركن المظلم طفلٌ وديعٌ أسرع باحتضانها، فمسحتُ على شعره بحنانٍ دافقٍ وهما أن يغادرا القبو ولكنَّ قدمها تسمرتُ فجأةً وهي تحملق في وجه ادوارد الذي برز طرف قناعه من جِراء سقوطه على وجهه فغمغمت بخفوتٍ:

\_ يا ترى من تكون أيها الخاطف؟!

واحتلها الفضول الذي قتل القطة، فقررت التفاوضي عن الفرار قبل كشف هوية خاطفها، فانحنتُ تعدل جسده ثم راحتُ تجذب القناع عن وجهه، عندها وبلا مقدماتٍ فتح ادوارد جفنيه لتبرق عيناه بوميض الغضب المُستعر ويلمح البصر قبض على معصمها فشهقتُ بقوةٍ ثم صرختُ بهلع:

\_ لا... لا... لا، اتركني أيها المجرم!

حدجها بنظرةٍ ناريةٍ وهو يقعي على أليته ثم صاح بسخطٍ عارمٍ:

\_ لم يجرؤ أحدٌ من قبل أن يفعل بي ما فعلته يا امرأة!

قالها ثم لطمها على وجهها بيده الحرّة، فطارت في الهواء ثم ارتطم ظهرها بالجدار وسقطت أرضاً وهي تتأوه من الألم، فنصب كفيه ليعتدل واقفاً فإذا بطفلها المدعور يتعلّق بعنقه من الخلف ويصيح بصوته الصغير المتقطع



تَحَجَّرْتُ الدَّمُوعَ فِي مَقَلَّتَيْهَا مِنْ هَوْلِ الْكَابُوسِ الَّذِي فَجَعَ صَدْرَهَا، فَجَعَلَهُ  
يَغْلِي بَنِيَانَ الْحُزَنِ الْمَرِيرِ فَاسْتَنْفَرْتُ عَضَلَاتِ جَسَدِهَا لِتَهَبَّ مِنْ مَرَقْدِهَا  
لِكِي تَصَبَّ جَامُ غَضَبِهَا الْمَتَفَجِّرِ عَلَى ذَابِحِ طِفْلِهَا، لَمْ تَبَالِ بِجَسَدِهَا الْهَائِلِ وَلَا  
حَتَّى بِخَنْجَرِهِ الَّذِي يَقَطُرُ مِنْ دِمَاءٍ وَلَيْدِهَا، كَانَ كَيَانُهَا كُلُّهُ يَطْلُبُ النَّارَ مِنْ  
الْقَاتِلِ لِذَا هَاجَمْتَهُ بِكُلِّ ضِرَاوَةٍ وَصَرَخَاتُهَا تَشْعَلُ الْأَجْوَاءَ بِلَهَيْبٍ ثَائِرٍ، وَمَعَ  
غَضَبِهَا وَقُوَّةِ انْدِفَاعِهَا انْتَابَتْ ادْوَارِدَ لِمِحَّةٍ خَوْفٍ فَتَقَهَّقِرُ عَلَى إِثْرِهَا لِلْخَلْفِ  
خَطْوَةً ثُمَّ تَفَادَى بِانْحِنَاءٍ جَانِبِيَّةٍ انْقِضَاضِ قِطْعَةٍ شَرَسَةٍ نَشَبَتْ أَظَافِرُهَا  
لِتَخْمَشَ وَجْهَهُ، وَلَكِنَّهُ وَجَدَهَا تَنْحِنِي مَعَهُ لِتَأْخُذَ بِنَتَلَابِيهِهِ أَرْضًا، فَأَبَتْ عَضَلَاتِهِ  
الْمَفْتُولَةَ الرُّضُوحَ.

هنا تذكَّرُ أَنَّهُ لَا يَزَالُ الْأَقْوَى بِبَنِيَانِهِ وَسِلَاحِهِ، فَانْتَفِضَ وَهُوَ يَرِغِي وَيَزِيدُ  
وَصَاحَ بِسَادِيَّةٍ مُهْلِكَةٍ:

\_ فليكنْ أَيْتَهَا الْقِطْعَةُ الشَّرَسَةُ، خَذِيهَا مِنِّي ضَرْبَةَ الْحَسَمِ .

قال عبارته الأخيرة وغمد خنجره في عنقها، ثم بقبضة فولاذية جبارة انتزعه  
بحركة جانبية حادة لينهمر من العنق المقطوع شلال دماء أغرق ملابسه  
فخرج منها خوارٌ ثورٍ مفزعٍ، قبل أن يركلها ادوارد بقدمه ليرتطم جسدها  
بالأرض بعنفٍ، وتنفصل الرأس عن الجسد وتتدرج حتى صدها الجدار

ليتلطَّخ بالدم، وعلى قسماتها نُقِشَتْ أعتى علامات الفزع والهلع، وبدا  
المشهد بعيون ادوارد في تلك اللحظة مصبوغاً بلونٍ أحمرٍ قانٍ، ورغم ذلك  
ابتسم بزهوٍ بعدما وَفَّى بحذافير ما تَلَفَّظ، وحقاً كان الذبح هو المصير.



## المشهد الأخير

هبت نسائمٌ باردةٌ عليلَّةٌ، فبدتْ ليلَةً هائمةً في طقسٍ ربيعيٍّ معتدلٍ تهيأتْ للاحتفال معها حديقةً تلك الفيلا، الكائنة بضاحية حلوان والتي بدتْ مُتناسقةً للغاية بأشجارها المُزدانة بالأضواء الفسفوريَّة البراقَّة، والتي تناغمت معها الموسيقى الهادئة الممتزجة بأصوات المدعوِّين لذلك الحفل الساهر، وبدأ نجما الحفل في أبهى صورةٍ بأناقةٍ فائقةٍ، وهما يجلسان سوياً على مقعدين وثيرين فخمين، ومن خلفهما قوسٌ هائلٌ من الزهور الاصطناعية الزاهية، وألعاب الليزر المُبهرة، التي أظهرتْ صورة العروسين الهولوجرافية في سماء الحديقة.

ظهرتْ تلك العروس بارعة الحُسنِ مع ثوبٍ سهرةٍ ورديٍّ رقيقٍ ارتدته على جسدها الرشيق الذي ينبضُ بأنوثةٍ طاغيةٍ، جعلت رفيقها يتأملها ملياً



بتمعن كالمسحور وهو يرتدي حُلَّةً سهرةً سوداءً أنيقةً برباطٍ عنقٍ قصيرٍ. كان ورفيقته كفراشتين تحلقان معاً فوق أزهارٍ حديقةٍ غناءً، حتى إنهما أثناءَ الحفل كانت الابتسامةُ لا تفارق شفاههما وهما يتبادلان عبارات التهنئة لخطبتهما، من ذويهما ومحبيهما.

انشغل والد العروس الدكتور عارف صدقي، جراح القلب الشهير باستقبال المدعوين والترحيب بهم بحرارةٍ فائقةٍ، وهو يوزع الابتسامات الوقورة بإيماءاتٍ رأسه الأسيب، يرافقه شقيق العريس المقدم طاهر وصفي المتأنق بحلته السوداء ورباط عنقه الأحمر الزاهي الطويل، بدا بجسده القوي الممشوق مُتناسقاً مع وجهه الحليق الخمرى ذي الشامة في منتصف جبهته، وعيونه العسلية وشعره الأشقر الناعم حتى يُخيّل لغير العالم بحقيقة عمله أنه لأبدٍ وأنه يشغل منصباً أميناً مرموقاً.

كان المقدم طاهر بين الفينة والأخرى، يحدج توأميه الصغيرين رامي وريم- دون الخامسة من عمريهما- بنظرةٍ مُداعيةٍ تنطلق على إثرها ضحكاتهما، وظهرت والدة العروس مُكتنزة الجسم وهي تحمل في يدها علبةً مُخمليةً حمراء، ولم تكد تصل إلى بُغيتهما حتى عانقت ابنتها وقبّلتها على وجنتيها بسعادةٍ غامرةٍ وعيناها مغرورقتان بدموع الفرح، فبادلتها ابنتها بقبلةٍ حانيةٍ على ظهر كفها قبل أن تقدّم علبة الشبكة لخطيبها طارق الذي جاوبها

بابتسامة امتنان، ثم فتح العلبة المُخملية وهو يقول لخطيبته هيام بجديّة:

- والآن يا أميرتي الجميلة، لقد حان الوقت كي أَهَبَكَ شَبَكْتِي المتواضعة  
لأثيقن بأنَّ حَبِّي السرمديّ لكِ لم يَضَعْ هباءً في أدراج الرياح، فتهيئيّ لذلك  
الحدث الهامّ الذي سيغيّر مجري حياتنا القادمة تمامًا.

صَفَّقْتُ بكفيها بجذلٍ كالأطفال، ثم مددتُ له كفَّ يديها اليمنى ونصبتُ  
بنصرها فطوق دبله الخُطبة إصبعها، وطبع عليها قِبلَةً حانيةً وهو تقول لها  
بهيام:

- مبارك يا حبيبي، فسعادتي لا توصف بحقّ، في هذه اللحظة التاريخية،  
أشعر أنني امتلكتُ الدنيا بأسرها.

امتزجتُ كلماتها بزغاريد الفرح التي انطلقتْ هادرةً مُجلجلةً في سماء حفل  
الخطبة والتهبُّ الكفوف بالتصفيق الحادّ تُوَازرها عبارات الشناء والتهاني  
من جموع الحاضرين، وهيام تطوّق إصبعه كذلك بدبلته اللجين، بعد أن زانَ  
عنقها ويديها بقطع شبكتها الذهبية البرّاقة. كان بانتظارهم بعد ذلك، تورته  
ضخمةً تقدّموا إليها سويًّا فشطروها نصفين بسكينٍ حادّةٍ طويلةٍ تحمل  
ضفيرةً من الحرير الذهبيّ نُفِشَ عليها حرفي اسمهما. ثم بعد ذلك نهض  
طارق، متأبطًا ذراع خطيبته وهو يُومئُ برأسه لكلّ الضيوف ببشاشةٍ مُعلنًا

بذلك نهاية حفلة خطبته.

عانقه شقيقه بحرارةٍ وصافح خطيبته بمودةٍ، وكذلك فعلت زوجته متمنين  
لهما حياةً سعيدةً قادمةً، ثم غادرا الحفل بصحبة طفليهما.

وكانتِ الأمنيات السعيدة هي لسان حال كلِّ أصدقائه وزملائه في العمل  
وهم يعانقونه، بعد أن التقط لهما زميله المصور الصحفي بعض الصور  
الفوتوغرافية التذكارية.

ثم بعد ذلك، أخرج فيلم الصور السلبي من الكاميرا الخاصة به ودسّه في  
جيب بنطاله، ثم وضع الكاميرا في جرابٍ خاصٍّ بها وهو يقول له بسرور:  
- مبارك يا صديقي العزيز أنت وعروسك الجميلة، وإن شاء الله تظهر الصور  
بديعةً ومُبهرَةً بعد تحميضها، وستجدُها منشورةً في صفحة المناسبات  
صباح الغد بإذن الله تعالى مع عبارة تهنئة رقيقة، سأصوغها لكما بنفسِي.

قال له طارق بامتنان:

- شكراً جزيلاً يا رؤوف، فأنت عند حسن ظني بك دائماً، والعقبى لك قريباً  
بإذن الله تعالى.

تمتم رؤوف وهو يقول:

- لا شكر على واجب يا صديقي، فأنت صاحب فضلٍ كبيرٍ في عملي بتلك  
المجلة، التي لم أكن أحلم يوماً بالعمل فيها.

قال له طارق مستنكراً:

- صه.. صه! ماذا تقول يا رجل؟ هذا كلامٌ عارٍ تماماً من الصحة، ولولا أنك  
مصورٌ بارعٌ لما اقترحتُ على رئيسة التحرير أن تضمك إلى طاقم التحرير  
في المجلة.

ثم أردف وهو يمسك بمعصمه قائلاً له بحزم:

- ثم إنك رهن الاعتقال ولن تذهب إلى منزلك قبل أن تلتقط لنا بعض الصور  
الفوتوغرافية الأخرى على كورنيش النيل في منطقته العوامات حيث الهدوء  
الساحر والنسيم العليل الذي لا يقاوم خاصةً في ذلك التوقيت الخاص بعد  
منتصف الليل.

جاوبته ابتسامة رقيقة من هيام، وضحكة عذبة من صديقه على فعلته  
وعبارته وهذا الأخير يدعي الخوف ممثلاً ذلك وهو يحجب عينيه بيده قائلاً:

- أنا رهن إشارتك يا زعيم، ومن غير اعتقالٍ، يكفي فقط أن تشير بسبابتك  
إلى ما تشتهي وأنا آتيك به قبل أن يدور بخلدك.

انطلقوا بعدها يضحكون بهجةٍ وسرورٍ وثلاثتهم يستقلون سيارةً طارق في

طريقهم إلى كورنيش النيل، انهمك رؤوف بتثيتت فيلمٍ خامٍ جديدٍ في التجوييف الخاصّ في الكاميرا، وهو يقول لهم مُغمغماً بإرهاقٍ شديدٍ:

- سألتقط لكما بعض الصور الخاطفة، ثم أنطلقُ إلى المنزل بأقصى سرعةٍ، لأنّ بوادر النوم بدأتُ تُهاجمني بضراوةٍ بعد يومٍ شاقٍّ طويلٍ.

ضغط طارقٌ دواصةِ الوقود لتُسرّع سيارته في ذلك التوقيت المتأخّر حتى كاد الطريق يخلو من السيّارات والمارةٍ تقريباً، ونظر إليه بطرفٍ عينه من مرآة السيارة الأمامية وهو يقول له متضرّعاً:

- لا يا صديقي أرجوك تماسك قليلاً، حتى تخرُج الصور التي ستلتقطها لنا في حالةٍ جيدةٍ، وبعد ذلك سأوصلك إلى منزلك لتنام كيفما تشاء.

أوماً له رؤوف برأسه وهو يتمتم قائلاً:

- سأحاول قدر المستطاع أن أظلم مُنتبهًا، ولكنّ أين المنطقة التي تودّون أن ألتقط لكما فيها هذه الصور تحديداً و...

قاطعته هيام وهي تُشير بسبابتها إلى المنطقة التي ينطلقون بمُحاذاتها متسائلةً بانبهارٍ شديدٍ:

- يا للروعة!! هذه العوامة مدهشةٌ للغاية، وكذلك المنطقة التي أُقيمتُ فيها أراها مُناسبةً تماماً للتصوير، ما رأيكما؟

أجابها طارقٌ وهو ينظر إلى النقطة التي تُشير إليها تحديداً فطالعتَه فيها عوامةٌ صُمِّمَتْ على الطراز الصينيِّ الفريد، حملتْ واجهتها لوحةً كبيرةً خطَّ عليها بشريطٍ فوسفوريٍّ مضيءٍ اسم «لؤلؤة النيل»، فشهِقَ بدهشةٍ قائلاً:

- مدهش!! وفعلاً اختيارٌ موفقٌ للغاية يا حبيبتِي، أنا شخصياً لم أكن لأختارَ مكاناً هادئاً وخبلاً بعيداً عن أعين الفضوليين مثل هذا المكان، خاصةً مشهد العوامات في النيل هنا مدهشٌ ومُبهرٌ جداً والإضاءة الخافتة تجعل المكان شاعرياً للغاية، وكلُّ شيءٍ مُمهِّدٌ تماماً للتصوير هنا تحديداً.

وعندها ضغط كابح سيارته ليوقفها على جانب الطريق بجوار أحد أعمدة الإنارة التي تنتشر بطول طريق الكورنيش، ثم خرجوا منها مُترجِّلين باتجاه تلك البقعة التي أشارتُ إليها خطيبته وتَهَيَّأَ سوياً لالتقاط الصور، وأخذ صديقهم يضبط وقفتهما وهو يشير إليهما بيده حتى تخرج الصور جيدةً كما يتمنون، وهو يحاول جاهداً أن يظلَّ مُنتبهاً ومتيقظاً ويقول لهما مُحذراً:

- إلى اليمين قليلاً يا أصدقائي، حتى أُدخِلَ هذه العوامة البديعة في الصورة، واستعدّوا بعدها للتصوير.

قال عبارته وهو يتأهَّب بالفعل لالتقاط الصورة وهو يرفع الكاميرا بمحاذاة عينيه وهو يغمغم قائلاً:

- والآن سكوتٌ. ح نصور... استعدوا.

عندها تسمّر رفيقاه في مكانيهما كتمثالين من الشمع وعلت ملامح وجهيهما ابتسامةً عذبةً، وهمّ رؤوف بضغط زرّ التصوير ولكنه توقّف فجأةً، وتراجع خطوةً إلى الخلف وحاجباه ينعقدان بقوةٍ واحتبس صوته في حلقه لبرهةٍ قبل أن يخرج مُتَحَشِرَجًا وهو يهتف برعبٍ:

- رب... ربااااا.. ما هذا.. الذي.. يحدث!؟

وكان بالفعل مُحَقًّا في قوله فما رآه في تلك اللحظة كان أمرًا رهيبًا بالفعل..  
وإلى أقصى غَايَةٍ.

\*\*\*\*\*

ذرعت سيّدة الأعمال الجميلة (إيناس شوكت) حجرة مكتبها ذهابًا وإيابًا وهي تفرك كفيها بعصبيةٍ بالغةٍ، ثم توقفت والتقطت هاتفها الجوال للمرة الخامسة خلال عشر دقائق فقط، ومسحت على شاشة الهاتف بأنملةٍ سابقتها للاتصال برقمٍ مُحدّدٍ وانتظرت حتى فرغ الرنين تمامًا ولكن ما من مجيبٍ، فزفرت بحرارةٍ ثم هتفت بغیظٍ:

\_أين أنت بالله عليك يا مختار؟ لماذا لا تجيب على الهاتف!؟

التقطت علبة سجائرها عن سطح مكتبها، وفضت منها سيجارةً دسّتها بين شفّتيها القرمزيتين، ثم أشعلتها بقداحتها بأصابعٍ مرتجفةٍ ونفثت دخانها بتوترٍ شديدٍ وتمهّلت قليلاً تفكّر في احتمالاتٍ شتى من شأنها أن تجعل زوجها يهمل الردّ عليها، فاحترار دليلها في البحث عن أجوبةٍ شافيةٍ وفجأةً تصاعد رنين جوالها فانبعثت الحياة مرةً أخرى إلى روحها المسلوقة، وانقضت على الهاتف لتطالع اسم المتصل وانهارت آمالها العريضة، ورغم ذلك أسرعّت تسمح بسبابتها على شاشة الهاتف لتبيح المكالمة وبادرت المتصل قائلةً بلهفةٍ:

- مساء الخير يا صديقتي العزيزة، لقد جاء اتصالك في الوقت المناسب تماماً؛ فأنا في غاية الحيرة والارتباك بسبب غياب مختار المفاجئ، وعدم رده على الهاتف يقلقني للغاية.

قالت لها صديقتها بتعاطفٍ مُشْفِقٍ:

- خيراً ياذن الله يا إيناس، تريّثي والتقّطي أنفاسك، ثم أخبريني ماذا حدث بالضبط لزوجك، لعلّ وعسى أن نجد حلاً لهذا الغياب المفاجئ.

التقطت إيناس آخر أنفاسٍ سيجارتها، وزفرته من صعيدٍ فمها الحارّ، ثم أطفأت السيجارة في المنفضة الكريستال على سطح مكتبها وهي تقول



بتوترٍ:

- بالأمس كانتُ كلُّ الأمور على ما يرام، ولكن في هذا الصباح انقلبت الأحوال رأسًا على عقب، والسببُ محادثةٌ هاتفيةٌ جاءت لمختار أصابته بثورةٍ عارمةٍ، فراح يحادث المتصل بعصبيةٍ ومع صوته المرتفع تنصَّتُ عليه فوجدته يتوعده بالسباب والصيحات الغاضبة. وللأسف لم أفهم الداعي لذلك، ولكن كلَّ الذي توصلتُ إليه أن مختار واعدَ المتصل المجهول بقاءه خاصًّا في عوامته الخاصة هذا المساء، وبعد فراغه من تلك المحادثة واجهته بما سمعته فهاج وماج وتوعدني بالويل والثبور وعظائم الأمور، لو فكَّرتُ في التدخل بهذا الشأن الخاصِّ أو حتى القدوم للعوامة خلفه، وما كان مني إلا أن رضختُ لأمره وظللتُ أحاول الاتصال به منذ ساعتين ولكن دون جدوى.

قالت لها الصديقة بإشفاقٍ:

- فعلاً الأمر هكذا جدُّ خطيرٍ ويحمل في طياته الكثير من المخاوف ، لأنه لو كان الأمر هيئاً لأخبرك به زوجك على الفور دون مواربةٍ، ومن المحتمل أن زوجك قد أصابه مكروهٌ ما، فلا يستطيع الردَّ على اتصالك، ولذا كان يتعين عليكِ ألا تنصتي لوعيده بلِّ وتحاولي إثناؤه عن الذهاب لهذا اللقاء

ولو قمتَ بمنعه بالحيلة أو حتى بالقوة لو اقتضى الحال. وما كان يجب أن تتركه يذهب بمفرده على الإطلاق.

هتفت إيناس متسائلةً باضطرابٍ شديدٍ:

- وما العمل إذن، في هذا الوقت العَصيبُ؟!

أجابتها صديقتها بحزمٍ:

- لأبَدَ أن تنطلقِي الآن إلى العوامة لاستطلاع الأحوال، فربَّما تتمكنين من السيطرة على زمام الأمور قبل تفاقمها وتبلغ حدًّا لا يُجدي معه الندم.

لم تكذُ تنتهي من عبارتها حتى هتفت إيناس بقلقٍ:

- فعلاً لأبَدَ من الذهاب إلى العوامة الآن، شكراً لك يا معالي، دعواتك .

قالتها وهي تُنهي الاتصال وتلتقط حقيبتها لتهمَّ بمغادرة مكتبها، وفي تلك الأثناء كان أحدهم يصيح بحنقٍ:

- اللعنة! هذه المجنونة ربَّما تُفسد بحماقتها الخطة كلها، لذا لأبَدَ من منعها من الوصول إلى العوامة بأيِّ ثمنٍ.

ضغط زرُّ إيقاف التسجيل الخاصَّ بجهاز التنصُّت المزروع بحجرة مكتبها، وبرقت في عقله فكرةٌ لإعاقتها، شرع في التحضير لها بسرعةٍ، ثم غادر

شفته كالبرق في اللحظة التي ضغطت فيها إيناس زرّ المصعد للهبوط إلى الطابق الأرضي وهي تتمنى لو أن بإمكانها أن تُزجي الوقت وتجعله يمضي بسرعةٍ سلحاءٍ متبلدةٍ حتى تتمكن من الوصول إلى العوامة بأسرع وقتٍ لنجدة زوجها، ومع وصول المصعد لمنتصف المسافة وجدته يتوقّف فجأةً لينسحب جانبيّ الباب وتجد على أعتابه رجلاً ضخماً الجثة يتريّث في الولوج إلى المصعد، فهتفت تستحثّه على الإسراع بحدة:

- هيا بسرعة يا رجل! فأنا بحاجة ماسة لكل ثانية تمضي.

لم ينبس الرجل ببنت شفةٍ، وابتسم ابتسامةً صفراءً لم تنتبه إليها في ظلّ توترها الجامح، ودلف إلى المصعد كأنّ على رأسه الطير، ومع استمرار هبوط المصعد وبخفة يد نشالٍ محترفٍ أخرج من جيبه محقناً طبيياً صغيراً واستغلّ انشغالها بالتحديق في أرقام الطوابق المضئية وباغتها بأن قبض على معصمها بيسراه فأصابتها الدهشة من وقاحة فعله، وحاولت أن تستخلص ذراعها من بين قبضته القويّة وسرعان ما عاجلها بأن غرس إبرة المحقن في ذراعها البضّ فأطلقت آهة ألمٍ قصيرةٍ وبلمحةٍ خاطفةٍ، ضغط مكبس المحقن ثم انتزعه بسرعةٍ من عُرقها وهي تهتف بغضبٍ صارم:

- ماذا فعلت بي أيها الحقير الأثم؟!

ومع اندفاع العقار المخدّر إلى داخل عروقها، تراخى جسدها تدريجيًا  
فأسبلت جفنيها ثم انهارت مقاومتها ومادت بها الأرض لتسقط على أرضية  
المصعد كالجوّال الفارغ لتفقد الوعي تمامًا. وما إن وصل المصعد إلى  
الطابق الأرضي حتى انسلّ منه ذلك الرجل الغامض وعلى وجهه ابتسامة  
ظفر تاركًا خلفه جسدًا طريخًا فافدًا للإدراك تحوم حول رأسه علامتي  
استفهامٍ وتعجبٍ بحجم الكون.

\*\*\*\*\*



## لغة الدم

هتف رؤوف بعبارته الجزعة، وهو يَزْدَرِدُ لعابه بصعوبة وعيناه تتسعان  
بذعرٍ هائلٍ وجسده ينتفض بقوةٍ وبحركةٍ تلقائيةٍ، ضغطٌ بسببته زرّ التصوير  
لينطلق ضوء الفلاش كالبرق الخاطف ليغمر رفيقهُ اللذين أصابتهم الدهشة  
لفعل صديقهم العجيب، الذي تسمّر في مكانه، فقفز إليه طارق وأخذ يهزه  
بعنفٍ مُزعجاً ممّا أصابه قائلاً له بحيرةٍ حقيقيةٍ:

- ما الذي حدث؟! وماذا دهاك يا صديقي؟

أجابه رؤوف بإشارةٍ مُبهمةٍ بيده إلى ما خلف ظهره، وعيناه تجحطان بشدةٍ  
حتى كادتا تقفزان من محجريهما قبل أن ينتفض من جموده ثم يدفعه بكلتا  
يديه جانباً، فمال ثم سقط أرضاً ورؤوف يصرخ فيه:

- احترس يا طارق و...

بتر عبارته وهو يهوي أرضاً بجواره بعنفٍ، فسقطتُ آلة التصوير بجواره فتمالك طارقُ رباط جأشه وهو ينحني عليه فهالَه رؤية ذلك الثقب الذي نشأ بغتةً في صدره ثم سالتُ منه دماءً حارةً غزيرةً، فارتدَّ بجسده إلى الخلف مصعوقاً. كان ذلك لحسن حظِّه إذ تفادى رصاصةً صامتةً احتكَّتْ بكتفه الأيسر فأصابته بجرحٍ دامٍ، أطلق لها صرخةً ألمٍ هائلةً، ثم نظر إلى مصدرها فطالعه تلك العوامة التي كانت خلفهم، وأحدهم في شرفتها الجانبية، يحمل مُسدَّسًا قويًا ويصوبه باتجاههم بشراسةٍ، ثم يتحرك بسرعةٍ قاصداً مغادرة العوامة والقدوم إليهم لقتلهم لسببٍ ما.

تجمدتُ الدماء في عروق هيام، وهي تُشاهد ما حدث ولم تدرِ ماذا تفعل في تلك اللحظات الحرجة والموقف العصيب وهي تهتف باضطرابٍ:

- لماذا يحدث كلُّ هذا؟! الموقف خطيرٌ ومعقدٌ بشدةٍ يا طارق، افعل أي شيءٍ بالله عليك!

نظر إليها طارقٌ نظرةً حاول أن يجعلها مُشجعةً ومُطمئنةً ولكنّها خذلته، لأنَّه شخصياً كان يعتريه الرعب من قِمة رأسه وحتى أخمص قدميه، ولكنّه حاول أن يبدو مُتماسكاً وهو يميل بجسده على رقيقه الذي بدت عليه

منازعات سكرات الموت، وجرح صدره ينزف بشدة فأخرج منديله وأخذ يحاول جاهداً منع تدفق دماؤه ثم هم برفعه عن الأرض ليفرّوا من المكان قبل وصول ذلك القاتل إليهم، وابتلع لعابه بصعوبة بالغة وهو يحفره هاتفاً باستماتة:

- تماسك يا صديقي، وتحامل على نفسك قليلاً، ما هي إلا دقائق معدودة ونكون في أقرب مستشفى، وسيتم إسعافك بأقصى سرعة، لتنجو بإذن الله تعالى.

زاغت عيون رؤوف وهو يمسك معصمه بوهن شديد، والتقط أنفاسه بصعوبة وهو يغمغم بصوت خافت:

- سبق السيف العذل يا عزيزي، فأنا أشعر جيداً بأن نهايتي قد أزفت ولكن قبل الرحيل هاك الكاميرا.

ثم استطرد وهو يشير بأنفاسٍ متلاحقةٍ إلى آلة التصوير الخاصة به قائلاً بغمغمة تنزف ألماً:

- هيا انزع الفيلم السلبي من هذه الكاميرا، وخذه واهرب أنت وهيام بسرعة، قبل وصول هذا القاتل إلى هنا، فهو حتماً سيقاتل بكل قوته حتى يحصل على صورته التي التقطتها له وهو...



بَتَرَ عبارته مُرغماً وهو يبصق دماء الحياة التي تدفقت من فمه، ثم سقطت رأسه على صدره، وهمدت حركته تماماً مُعلنةً صعود روحه إلى بارئها. عندها لم تتمالك هيام نفسها فأطلقت صرخةً هائلةً مُدويةً شقت سكون الليل كَألفِ قنبلةٍ واغرورقت عيناها بدموع الحزن وهي تشاهد ما حدث. أمّا طارق، فأنحدرت من عينيه دمعَةٌ حزنٍ حارّةٍ سالت على خديهِ كالحمم، فأغلق عينيه وشعر بغصة نارٍ مُستعرةٍ في قلبه ومرارةٍ رهيبيةٍ في حلقه كأن ما حدث قد أصابه بخنجرٍ باردٍ مسمومٍ في صميمٍ أعماقه.

ولبرهةٍ عقد حاجبيه في تفكيرٍ عميقٍ، ثم اتخذ قراره بحزم فأرقد صديقه أرضاً ثم مسح على وجهه بيده وهو يتمتم بالشهادة وغمغم بمرارةٍ تُدمي القلب مُتبتلاً:

- رحمك الله يا صديقي الوفي، أنت أنبل من عرفت، لن أنساكَ.

أخذ شهيقاً عميقاً وهو يتنهد بعمقٍ تنهيدةً حارّةً حملت كل ما تموج به نفسه من انفعالات الحزن الهائل، ثم زفر كل انفعالاته المُتأججة كلفحةٍ حممٍ بركانٍ نائرٍ وهو يتمتم بكلمةٍ واحدةٍ مقتضبةٍ:

- وداعاً...

قالها ثم أسرع ينزع الفيلم السلبي من تجويفه في آلة التصوير، ودسه في

جيب سترته الداخلي ثم أخذ بيد خطيبته فوجدها مُنهارَةً تمامًا وقدميها متمسرتين في الأرض من هول ما رأَتْ بأَمِّ عينيها من أهوالٍ يشيب لها الولدان.

فهزَّها بعنفٍ وهو يحثُّها على الركض باتجاه سيَّارته للفرار من هذا القاتل الذي ظَهَرَ عند مدخل العوامة بالفعل، ولم يَعدُ يفصله عنهم سوى أمتارٍ قليلةٍ وهو يصوَّب مسدسه القويَّ باتجاههم ويتأهَّب لإطلاق الرصاص عليهم. ولم يدرِ طارقٌ ماذا يفعل في هذه اللحظة الحرجة التي ربَّما تكون آخر لحظات حياته!

وفجأةً، كالوميض الخاطف في قلب الظلام برَقَّتْ في عقله فكرةٌ للخروج من هذا المأزق القاتل، فوضَعها بسرعةٍ حَيِّز التنفيذ الفوريِّ وهو يرفع الكاميرا بمحاذاة عينيه ويضغط بسبابته زرَّ التصوير مرارًا وتكرارًا لينطلق الفلاش بضوءٍ مُبهرٍ متواصلٍ غَشِيَ عيني هذا القاتل لتضطرب الرؤية أمام عينيه ثم تنعدم ليُصاب بعمىٍ مؤقتٍ.

وفي اللحظة نفسها، ضغط هذا القاتل على زناد مسدسه الكاتم للصوت بضغطاتٍ متتابعةٍ فكان توافقًا مُدهشًا ولكن باختلاف النتائج؛ ليخطئ القاتل هدفه وتطيش رصاصاته بهذه المبادرة العبقرية الجريئة من طارق الذي لم ينتظر معرفة نتيجة ما فعل وهو يجذب هيام بقوةٍ وعنْفٍ لتنتفض

هذه الأخيرة من صدمتها، فأخذتْ تعدو معه باتجاه سيارته الرابضة في  
الجهة المُقابلة من الطريق، ولكنْ لم تكُدْ تعدو معه عدّة أمتارٍ حتى حدث  
ما لَمْ تَكُنْ تتمنّاه على الإطلاق؛ إذ تعثّرتْ بطرف ثوبها الطويل ومع تلك  
الحركة العنيفة التوى كاحلها فأطلقت صرخة ألم فظيعة تكوي نياط القلوب  
المتحجرة مع سقوطها أرضاً بقوة، وفي تلك الأثناء استعاد القاتل الرؤية  
بعد ثوانٍ من انعدامها لتلتهب ملامحُه بالغضب العارم، وتتقد عيونه بنارٍ  
مُستعرة، فأخذ يعضُّ شفته بأسنانه بامتعاضٍ شديدٍ وهو يصوبُ مُسدسه  
مرةً أخرى ويطلق رصاصاته الصائبة هذه المرة بغزارةٍ وبدقّةٍ مُحكّمةٍ لتُصيب  
ظهر هيام لتتفجّر ينابيع دمائها في مناطقٍ شتى من ظهرها وهي تطلق  
صرخة ألمٍ رهيبيةٍ أشدَّ ألف مرةٍ من سابقتيها، فصعق طارقٌ بشدّةٍ وهو يرى  
حبيته تهوي مُصرّجةً بدمائها، فانحنى عليها بجسده يتمتم بلوعةٍ وجزعٍ:

- لا.. لااااا.. يا هيام!!

اعترى الوهن مُحيّاها الرقيق، وطافت على شفيتها شبح ابتسامةٍ خفيفةٍ  
وهي تُعاني آلام الاحتضار، وغمغمتْ بصوتٍ واهٍ:

«أحبُّك يا طارق، قلتها لك في حياتي، وقبل مماتي، فتذكّرني دائماً.»

ثمّ استطردتْ وهي تلتقطُ نفساً أخيراً وزفرته مُتمتمةً:

- لا.. إله.. إلا.. الله.

ثم حلق ملك الموت بروحها الطاهرة بعيداً في السماء، فأخذ طارقٌ يهزها بقوة والألم يعتصر جوانحه قائلاً:

«لا تتركيني وحيداً يا حبيبتي، فأنا لن أستطيع العيش دونك ولو لثانية واحدة.»

قالها وانتظر ردها!

ولكن، ما من مُجيب!

فعينها فقدتا تماماً بريق الحياة، وهي التي كانت تُضيء بهاءً منذ قليل بالحياة وبالأمل وبكل فرحة الدنيا، وضافت الدنيا بما رُحبت في عينيه!  
وهو يعضُّ شفتيه حتى أدماها، ثم غمغم بدموعٍ وخشوعٍ:

- محمد رسول الله.

قال جملته وأطلق صرخةً هائلةً تردّد صداها طويلاً، في سماء الطريق الخالي تماماً من البشر.

باستثناء هذا القاتل الشرس الذي وجد فوهة مسدسه الباردة تلتصق برأسه مستعداً لضغط الزناد حتى يظفر الموتُ بضحيةٍ جديدةٍ، وكانت لحظةً

حرجةً وشديدةَ الخطورةِ بالفعل، جعلت الأدرينالين يتدفق بقوة في عروق طارقٍ وهو يُقدِّم مرةً أخرى على ردِّ فعلٍ مفاجئٍ لخصمه، ويميل برأسه بحركةٍ حادةٍ جانبًا بسرعةٍ خاطفةٍ، وفي الثانية التالية رفع الكاميرا وقذف بها بكلِّ ما أوتي من قوةٍ وعزيمةٍ في وجه خصمه فأصابه بإصابةٍ مباشرةٍ في أنفه فأدماه وهو يهتف به بغضبٍ عارمٍ:

- كفاك ما أرقّت من دماءٍ وأزهقت من أرواحٍ أيها القاتل الحقيّر!

لم يدرِ بنفسه وهو يفعل ما فعل، ولكن من المؤكّد أنّها غريزة البقاء في جسد كلّ كائنٍ حيٍّ هي ما ألهمته - بعد الله - في مباغتة غريمه بهذا الردِّ العنيف، الذي أطلق له غريمه آهةً ألمٍ مكتومةٍ وهو يطلق الرصاص عشوائياً على طارقٍ الذي تمالك نفسه، وهو ينفض عن كاهله كلّ المشاعر السلبية، وحوّل قدميه إلى آلةٍ للركض باتجاه سيارته، وبالرغم من سرعة عدوه إلا أنّ رصاصتين إحداهما احتكّت بعنقه، وتجاوزته مُخلفةً نافورةً صغيرةً من دمائه الحارّة، والأخرى استقرت في فخذِه ليطلق آهاتٍ ألمٍ متواليةٍ تُدمي القلوب. كادت قواه تخور، وهو يترنّح في حالةٍ إعياءٍ شديدةٍ، وكاد يسقط أرضاً لولا أنّه استند على مؤخرة سيارته، وهو يدور حولها حتى يحتمي بها من رصاص هذا القاتل، ورسخ في عقله أنّ هذا القاتل لن يتركه إلا وهو جثةٌ هامدةٌ،

لسببٍ لا يدري كُنْهه، وتذكّر ذلك الفيلم القابع في جيب سترته، وضجّ عقله بتساؤلاتٍ مُخيفةٍ وأفكارٍ عديدةٍ.

وفي تلك الأثناء، توقّف ذلك القاتل فجأةً عن إطلاق الرصاص لينحني مُلتقطاً الكاميرا، ويفحصها جيداً بعنايةٍ فائقةٍ ثم يطوّحها بعيداً بطول ذراعه بعد أن وجدها فارغةً من الفيلم السلبّي، وأخذ يصرخ بغضبٍ عارمٍ هيسْتيريٍّ، ثم اندفع بسرعةٍ إلى سيارةِ الهامر التي كانت بجوار العوامة، ودسّ جسده فيها وانطلق بأقصى سرعةٍ ليطارد بضراوةٍ ووحشيةٍ طارق، الذي كان في حالةٍ يرثى لها من الألم والضعف والإنهاك الشديد، وهو يقود سيارته.

أخذت المسافة بين السيارتين تتضاءل بشدةٍ واقترب القاتل منه ، وأخذ يُطلق عليه سيلاً من الرصاص هشّم الزجاج الخلفيّ لسيارته ثم اخترق الأمامي بعنفٍ لتستقرّ رصاصتان في ظهره وكتفه الأيمن، ليكتنف الدوار رأسه بشدةٍ، كاد يقع في غيبوبةٍ عميقةٍ من جرّاء إصاباته العديدة، وفقدت السيارة توازنها وكادت تصطدم بحاجزٍ مروريٍّ ظهر أمامه بغتةً، وأخذ يحاول جاهداً أن يتماسك، ويسيطر على عجلة القيادة ويميل بها إلى أقصى اليسار، ليكون النجاح حليفه، وهو يتفادى الاصطدام بالحاجز الخراسانيّ ويتجاوزهُ مُنطلقاً بسرعةٍ.

وانتفض شرطيّ المرور في تلك النقطة المروريّة، وهو يشاهد تلك المطاردة الرهيبة ، التي كادتُ تودي بحياته ولكنّه تفادها بأعجوبةٍ بقفزةٍ جانبيةٍ في اللحظة الأخيرة.

ثم اندفع يستقلُّ دراجته الشرطية، وينطلق بها مسرعًا خلف سيارة ذلك القاتل، واقترب منها ثم أشار إليه بالتوقف على جانب الطريق، وعندها وبلا بنتِ شَفَه، أدار القاتل فوهة مسدسه باتجاهه، وأطلق رصاصةً صامتةً بأعصابٍ باردةٍ اقتلعتُ الشرطي عن دراجته مطوّحةً به على جانب الطريق مضرّجًا بدمائه لينضم إلى قائمة حلقة الموت الرهيبة في تلك الليلة التي بدتُ بلا نهاية.

واستمرت دراجته تندفع حتى اصطدمتُ بالرصيف، وقفزتُ قفزةً هائلةً فوق حاجز الكورنيش ثم هوتُ في الفراغ مُخرقةً ماء النيل حتى استقرتُ في قاعه.

وأصبح وضع طارقٍ في غاية الخطورة والصعوبة، مع قاتلٍ بات واضحًا جليًا أنّه لن يتوانى عن إزاحة كلّ ما يعوق طريقه في سبيل القضاء عليه والحصول على مبتغاه وهدفه، ألا وهو الفيلم الذي يحمل في طياته صورته وما اقترفتُ يده، وبأملٍ أخيرٍ أسرع يختطف هاتفه الخلوي من على تابلوه

سيارته، ومسح بأنملة سبابته على شاشة للاتصال بشقيقه الوحيد، المقدم  
طاهر وصفي.

وسقط قلبه بين قدميه بعنفٍ، وهو يستمع إلى تلك العبارة المستفزة التي  
انبعثت من سماعة الهاتف بصوتٍ أنثويٍّ هاديٍّ قائلةً:

«الرقم الذي حاولت الاتصال به ربما يكون مغلقًا، أو غير متاحٍ حاليًا، يمكنك  
ترك رسالة صوتية له و...»

وبلا تردٍ، وبكلماتٍ مُقتضبةٍ أرسل رسالةً صوتيةً قصيرةً لشقيقه الوحيد،  
وكلُّه يقينٌ أنها لن تُغيِّر من مصيره شيئًا، وهو ينظر في مرآة سيارته الأمامية  
ليرى سيارة القاتل وقد اقتربت من سيارته بشدة، فانهارت كلُّ معنوياته  
تمامًا، واستسلم لقدَّره المحتوم، الذي جاءه بأسرعٍ ممَّا كان يتصوَّر، ومن  
حيث لا يدري، لتتسع عيناه برعبٍ هائلٍ، حتى كادت تقفز خارج جمجمته؛  
عندما انشقَّ الطريق أمامه بغتةً عن سيارة نقلٍ (فان) عملاقةٍ تنطلق نحوه  
بسرعةٍ هائلةٍ، مطمئنةٍ إلى خلوِّ الطريق من السيارات في هذا التوقيت  
المتأخر من الليل. أيقن طارقٌ أنها النهاية لا ريب فيها، لترتجف أوصاله و  
يحتبس صوته في حلقه لحظةً، قبل أن ينفجر بدعٍ رهيبٍ:

- رحماك يا إلهي!!



وكرّد فعلٍ غريزيّ ضغط فرامل سيارته المنطلقة بأقصى سرعتها، لتطلق إطاراتها صريراً مُخيفاً فوق الطريق الإسفلتيّ وتصطدم بالسيارة الضخمة المُسرعة بكلّ قوّة وبدويّ هائلٍ بلغ عنان السماء، تردّد صداه طويلاً، والشاحنة تقفز فوق سيارته قفزةً هائلةً رهيبَةً وتستقرّ على سقفها بزوجينٍ من الإطارات الهائلة فتدكّها دكاً بإسفلت الطريق وتزحف بها على هذا الحال لعدة أمتارٍ أخرى، مُحدثةً شراراتٍ ناريّةٍ مخيفةٍ من جرّاء الاحتكاك الرهيب. هدأت سرعة الشاحنة تدريجيّاً بفعل القصور الذاتي، وخدمت حركتها لتستقرّ كامنةً على هذا الحال الكارثيِّ بحقٍّ، انحنى القاتل بسرعةٍ بسيارته مُتفادياً الاصطدام بالسيارتين اللتين أصبحتا كتلةً واحدةً، فكبح جماح سيارته ثمّ غادرها وسار الهوينى بوجهه يحملُ ملامحَ جليديةً، باتجاه السيارتين الهامدتين والمحطمتين تماماً على قارعة الطريق.

بالرغم مما حدث لم يطرف للقاتل جفنٌ ولم يبالٍ وهو يسمع آهات سائق السيارة الفان ناشداً الغوث ممّا آل إليه حاله من إصاباتٍ عديدةٍ بالغةٍ الخطورة، وانهمك بالتفكير بطريقةٍ مثلى للحصول على الفيلم الذي شقّ طريقه إليه ببحورٍ من الدماء وانتهى به المطاف هنا.

لم يعد أمامه سوى استخلاصه من سيارة طارق، إلا أن السيارتين امتزجتا

ببعضهما تماماً بسبب الحادث، ولم يَعدُ بمقدور كائنٍ مَن كان أن يستخلص شيئاً منهما إلا بصعوبةٍ بالغةٍ، وهو لا وقت لديه لفعل ذلك، فبعد دقائق معدودةٍ سيمتلئ المكان حتماً برجال الشرطة.

عندها وبلمحةٍ شيطانيةٍ هداه تفكيره الإجرامي إلى دسِّ يده في جيبه وإخراجها حاملةً علبةً سيجار من النوع الكوبي الفاخر فانلقى منها لفافة سيجاراً أشعله بقداحته، ثم أخذ منه نفساً عميقاً وزفره باستمتاع تامٍّ، ثم بلمسةٍ شرِّ جهنميةٍ قذف بقداحته المشتعلة فوق البنزين الذي ينسكب مُتدفقاً من خزان وقود سيارة طارق المسحوقه، وفي السماء اختفى قرص القمر خلف الغيوم تماماً.

\*\*\*\*\*



## طرف خيط

اشتعلت النيران وانتشرت بسرعةٍ رهيبَةٍ لتسري كسريانها في الهشيم وطارق  
داخل السيارة المحطّمة يحاول جاهداً أَنْ يَخْرُجَ منها ولكن دون جدوى،  
فكلُّ محاولاته باءت بالفشل الذريع، بجسدٍ أُنخنته الجراح فجعلتُ حالته  
مزريّةً بشدّةٍ وضاقَتْ حلقة النيران حتى حاصرته تماماً و...

وفجأةً، وبلا مقدماتٍ ظهر شقيقه المقدم طاهر وكأنّه نَبَتَ من العدم يسابق  
الريح وهو يحمل أسطوانة إطفاء الحريق، قبض عليها بكلتا يديه فتنفس  
الصعداء وهو يصرخ فيه بلهفةٍ غريقٍ مستغيثاً:

- النجدة يا أخي، ما هي إلا دقائق معدودةٌ وتلتهمني النيران تماماً!

لم يكد شقيقه يقترب منه حتى هاله منظره في ذلك الموقف العصيب،

فشهق بقوة وارتدَّ إلى الخلف مصعوقاً من هول صدمة الموقف ثم هتف به بدهشةٍ بالغةٍ:

- يا للسماء! ما هذا الذي أصابك يا طارق؟! اهدأ وتماسك وسأحاول أن أطفئ هذه النيران المستعرة ثم أستخلصك من السيارة!

قرن القول بالفعل وهو يصوب أسطوانة الإطفاء باتجاهه، ثم ضغط بقوة على ذراع الأسطوانة لينطلق السائل الرغوي بكثافةٍ شديدةٍ ليغمر سيارته، ولم يرفع قبضته عنها سوى بإعلان الأسطوانة فراغها التام من سائل الإطفاء، ولكن هيهات! فالنار المشتعلة كانت أقوى من أن تطفئها أسطوانة واحدة فرغت دون حتى أن تحدَّ من قوة النيران التي اشتدتَّ تأجُّبًا.

وانطلقت صرخات أخيه الهستيرية لتمتزج بضربات الواهية على باب سيارته محاولاً فتحها من الداخل، ولكن دون جدوى، وأصبح قاب قوسين أو أدنى من هلاكٍ محتوم، فانهار تمامًا.

وتلفتَ المقدم طاهر حول نفسه يتلمس أحدًا يُعيِّنه على إنقاذ شقيقه وهو يصرخ بصوتٍ يائسٍ:

- أما من مُجيبٍ؟!

وبالفعل انشقت الأرض عن سيارة مطافي، توقفت بجواره وأسرع سائقها

بإعطائه خرطوم الإطفاء فالتقطه بلهفةٍ وصوبه مرةً أخرى باتجاه سيارة شقيقه، ثم هزَّ رأسه للسائق كي يقوم بفتح صمام المياه ففعل ووجهه يحمل ابتسامةً مقبلةً لم تلبث أن تحولت إلى قهقهةٍ صاخبةٍ اندهش لرؤيتها وهو يستنشق تلك الرائحة المميزة التي اندفعت بقوةٍ من خرطوم الإطفاء لسائلٍ متطايرٍ وردِّي اللون لا تخطئه حاسة الشم؛ إنه البنزين! لتشتعل النيران بأقصى شدتها في كلِّ شيءٍ بلا استثناءٍ و...

وفجأةً انتفض من نومه فزعاً مُنسحباً من تلك النهاية البشعة التي راودته في منامه على رنينٍ متواصلٍ لهاتف المنزل، فمدَّ يده ليلتقط السماعة عن الكومود بجوار الفراش والعرق يتصبَّب من جبهته، أخذ يجفف العرق براحته وهو يتمتم منزعجاً:

- اللعنة على هذا الكابوس البشع!

قال عبارته ثم وضع سماعة الهاتف على أذنه ليستقبل كلماتٍ جزعةٍ من الطرف الآخر فهبَّت زوجته من نومها وفركت عينيها وهي تتشاءب وعلت ملامحها علامات الدهشة من هوية المتصل في هذه الساعة المبكرة من الصباح، فقالت بحيرةٍ:

- مَنْ المتصل في هذه الساعة يا طاهر؟!

جاءتها الإجابة سريعاً عندما هتف بالمتصل بصوتٍ قلقٍ:

- ومنذ متى خرج طارق وهيام يا سيد عارف؟!

قَطَّبَ جبينه بقوةٍ وهو يستمع إلى مُحدِّثه، ثم قال له بنبرةٍ حاول أن يجعلها مُطمئنِّنةً:

- فليكنْ يا دكتور عارف، خير إن شاء الله، اطمئنا أنتَ وأُمُّ هيام ولا تقلقا على الإطلاق، سأفعل كل ما بوسعي حتى أعرث عليهما أو أعرف ماذا حدث لهما، وسأبلغكم بما توصلتُ إليه.

عندئذٍ قالتُ له بانزعاجٍ شديدٍ:

- هل أصاب طارق وهيام مكروه؟ أخبرني وطمّني بالله عليك يا طاهر؟!

وضع سماعة الهاتف ثم فرك كفيهِ بتوترٍ وحاول ضبط أعصابه وهو يقول لها:

- الدكتور عارف يقول إنهما خرجا سوياً للتنزه بعد نهاية الحفلة ولم يعودا حتى هذا الحين. وكلُّ محاولات الاتصال بهما باءت بالفشل، حتى إنّه كان يحدّثني وهو في قمة توتره وانزعاجه من عدم عودتهما إلى المنزل بالرغم من تنبيهه لهما بالعودة سريعاً.

قالتُ له بتوتر:

- عدم عودتهم حتى هذا التوقيت دون سببٍ معلومٍ مُقلقٍ فعلاً، ولكنَّ الشيءَ المطمئنَّ بحقٍ هو أنَّ طارقاً رجلٌ بمعنى الكلمة ولا خوف عليه ويمكنك الوثوق به.

غادر فراشه ثم التقط هاتفه الخلويَّ وضغط على زرِّ فتح الهاتف وهو يغمغم:

- لقد هاجمني للتوُّ كابوسٌ مُخيفٌ لم أبارحه سوى مع رنين الهاتف، والذي يقلقني فعلاً أنَّ مخاوفي أثناء الكابوس أكَدَّتها تلك المكالمة وأصابتني بخوفٍ مُبهمٍ لا أدري كنهه.

رَبَّتْ على صدره وهي تحاول بثَّ بعض الطمأنينة وقالت:

- يا حبيبي، استعدَّ بالله من الشيطان الرجيم، ما هي إلا أضغاث أحلام، وإن شاء الله ...

قَاطَعَهَا فجأةً ذلك الرنين القصير المُميِّز لهاتفه معلناً استقباله رسالةً صوتيةً قصيرةً فانعقد حاجباه بقوةٍ وهو يُطالع اسم شقيقه على شاشة الهاتف، فنقر على أيقونة تشغيل الرسالة الصوتية وأرهف سمعه جيداً، وتوترت أعصابه بشدةٍ وهو يستمع إلى فحوى الرسالة التي لم تكدِّ تنتهي، حتى ارتدى ملابسه على عجلٍ ثم أسرع يستقلُّ سيارته الرياضية الحمراء من



طراز فورد وينطلق بها باتجاه هدفٍ حدَّده مُسبقًا، وفي الطريق رنَّ هاتفه مرةً أخرى فأخرجه من جيبه ثم طالع شاشته قبل أن يجيب المتصل قائلاً بلهفة متسائلاً:

- صباح الخير يا حازم، أيُّ رياحٍ طيِّبةٍ دَعَتَكَ للاتصال بي في هذا الوقت المبكر؟!!

أجابه مُساعده في الجهة الأمنية بارتباكٍ شديد:

- في الحقيقة يا سيادة المقدم هي أخبارٌ لا تُبشِّر بالخير مطلقاً و...

قاطعته وهو يحثُّه على الإسراع بإخباره بما حدث قائلاً له بحدَّة:

- هاتِ ما لديك بسرعة، فأعصابي مُتوترةٌ بقوةٍ في هذه اللحظة، لأنَّ هناك شيئاً ما قد حدث لشقيقي طارق وأنا في طريقي لمعرفة فحواه وكنهه.

تنحنح قائلاً له بتوتر:

- هو بالفعل أمرٌ خاصٌّ بشقيق سيادتكم، لقد تمَّ العثور على سيارته في طريق الكورنيش بين حيِّ المعادي ومنطقة حلوان، وعند علمي بالخبر أسرعْتُ إلى هناك وتأكدتُ من أنَّ السيارة تخصُّه من لوحة أرقامها.

وصمتَ برهةً قبل أن يتلعثم ويستطرد مغمغماً:

- والأفضل أن تأتي بنفسك لرؤية ما حدث.

هتف به المقدم طاهر متسائلاً بصراحة:

- ماذا حدث لشقيقي وخطيبته يا حازم؟! أخبرني فأعصابي لم تعد تحتل، ولن أطيع صبراً حتى وصولي إلى هناك، فأنا بالفعل قادمٌ إلى الكورنيش ولكن لهدفٍ آخر.

أجابه متعجباً:

- ولكنَّ خطيبته لم تكن معه في السيارة، لقد كان وحيداً... ولكن...

تردد لبرهة ثم أخبره بحقيقة الموقف وهو لا يلوي على شيء بعد إصراره على معرفة ما حدث، وخلال دقائق قليلة كان هناك في قلب الحدث فصعق حقاً عند رؤية ما أصاب شقيقه وجثته التي تفحمت بشدة.

وفرك عينيه وهو غير مُصدِّقٍ لما يراه وتساءل أهو حقاً يحيا واقعاً مريباً؟!

أم هي أضغاث أحلام - كما أخبرته زوجته - وكابوسٌ يستكمل أحداثه به الآن؟

وتيقن من كلِّ الشواهد أنه للأسف يحيا دنيا الواقع الأليم.

وبالرغم من تشوه ملامح شقيقه تماماً إلا أن قلبه أنبأه أنه شقيقه الوحيد، وقد مات بتلك الطريقة البشعة عندها امتزج حاجباه بعنف واعتصرت

قبضةً باردةً كالثلج قلبه قبل أن تنتزعه من بين ضلوعه وتهوي به في بئرٍ سحيقٍ بلا قرارٍ، فحجب دموعه بصعوبةٍ، وبينما يحاول رجال الحماية المدنية استخلاص جثة شقيقه من بين حطام سيارته المسحوقة بعد رفع السيارة (الفان) المحطمة بونشٍ ضخمٍ، مع سائقها الصريع المتفحمة جثته كذلك ووضعها على جانب الطريق.

أخذ المقدم طاهر يتفحص مسرح الحادث جيداً بعيني خبيرٍ أمنيٍّ مُخضرمٍ، وصدق حدسه وهو ينحني ليلتقط بقايا قَدَاحَةٍ محترقةٍ، فتيقن أنها جريمةٌ مُدبَّرةٌ وليست حادثة سيرٍ عاديةً لأنه من الواضح للغاية أن أحدهم هو من أشعل النيران في البنزين بهذه القداحة حتى يمحو آثار جريمته، فأقسم في قرارة نفسه أن المجرم الذي فعل ذلك الإثم العظيم لن يفلت دون عقابٍ أبداً، طالما ظلَّ بداخله قلبٌ نابضٌ و نفسٌ صاعدٌ، وعندها زفر بعمقٍ وتمالك رباط جأشه وهو يشير إلى شاب رياضي الجسم متوسط القامة في العقد الثالث من عمره ذي وجه مستطيل حليق سوى من شاربٍ كثٍ وشعر أسودٍ مجعدٍ وما إن لمح اشارته له حتى دنا منه فابتدره المقدم طاهر قبل أن يهَمَّ باستقلال سيارته قائلاً له بحزم:

- أريد معرفة كافة التفاصيل المتعلقة بهذه الحادثة يا حازم، اجعلها شغلك الشاغل، وتقص آثار كل الأمور بنفسك وسأنصرف الآن لأمرٍ هامٍّ، وسأنتظر

معرفة النتائج منك شخصياً أولاً بأول.

قال له الرائد حازم ووجهه يحمل ملامح التأثر الشديد لما حدث:

- أمرك يا سيدي والبقاء لله، وآسفٌ جداً لأنني أول مَنْ أخبرك بهذا الخبر المشؤوم.

أدار محرك سيارته وهو يقول له معاتباً:

- لا تقل ذلك يا حازم، فلا داعي للأسف فهذا قدره (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا) (التوبة ٥١) وإن كان خبر وفاته قد أحزنني لفراقه، إلا أنه لا يرتقى إلى منزلة الصدمة من بشاعة الحادثة المُدبّرة بفعل فاعلٍ وقسوتها المريرة على نفسي.

تساءل بدهشةٍ:

- ماذا تقول يا فندم؟ كيف تكون الحادثة مُدبّرة وسائق (الفان) لقي المصير نفسه من جرّاء الاصطدام الرهيب والانفجار المدوّي مع اشتعال خزان وقود سيارة المرحوم طارق.

أجابه وهو يعقد حاجبيه بتفكيرٍ عميقٍ:

- هكذا تقول الصورة في ظاهرها، ولكن في باطنها هناك الكثير من الأمور

الخفيّة التي سأفكُّ تَلاسمها بإذن الله تعالى.

قال عبارته ثم انطلق بسيارته إلى هدفه الذي حدّده مسبقاً والذي لا يبعد كثيراً عن مسرح تلك الحادثة، وتساؤلاتٌ عديدةٌ تعصّف بعقله حتى وصل بالفعل إلى هدفه فحذج بنظرةٍ صارمةٍ تلك اللوحة المضيئة والتي تحمل واجهةً لعوامةٍ اسمها لؤلؤة النيل.

أجل! هي العوامة نفسها التي شهدت بداية الأحداث الدامية، ولكن باختلاف تفاصيلٍ عديدةٍ أهمّها أنّه لا أثر مطلقاً لجثتي رؤوف وهيام أمام العوامة، وكمشهدٍ سينمائيٍّ يتكرر فلاش باك ضغط كابح سيارته لتتوقف تقريباً في مكانٍ توقّف سيارة شقيقه الراحل بجوار الرصيف المقابل لتلك العوامة، وغادرها ثم دار حولها وهو يستند عليها بيده حتى وصل إلى الجهة الأخرى لها، وتوقّف بجوار عمود الإنارة وكلمات شقيقه المُقتضبة في رسالته الصوتية الأخيرة تدوي في رأسه بقوة:

(أخي الحبيب أنصتٌ لحديثي جيداً، عمود الإضاءة العمومي القابع في مواجهة عوامة لؤلؤة النيل)

حدث نفسه بخفوت:

\_أجل هي الإحداثيات نفسها، ومن المؤكّد أنّ هذا هو العمود المقصود

تحديداً.

(في الفتحة الخاصة بالتوصيلات الكهربائية لكشاف الإضاءة)

\_ بالفعل هناك كَوَّةٌ بمحاذاة كتفيه تدلّ غطاؤها بجوارها ممسكاً بجسم  
العمود المرتفع بمسمار قلاووظٍ وحيدٍ، وبات واضحاً رؤية كابلاتٍ عديدةٍ  
معزولةٍ بداخل الفتحة.

(خبّأتُ هناك وسط الكابلات فيلم كوداك يحمل صورة جلبتُ لنا  
مطاردةً قاتلةً).

دسّ يده بين الكابلات وأخرج الفيلم بالفعل، ثم رمقه بمقتٍ وبضع دمعةٍ  
في عينيه للحظةٍ، ثم خانته دمعتان حارّتان فرّتا من مقلتيه سائلتان على  
وجنتيه وهو يغمغم بغصّةٍ ألمٍ ومرارةٍ:

- آه... آه يا طارق، كلُّ هذه الأهوال بسبب صورة؟! فقط صورة!!

قالها ودسّ الفيلم في جيبه ثم انطلق بسيارته، وقد أيقن أنه بذلك قد أمسك  
بيده طرف الخيط.

\*\*\*\*\*

ملأ رجل الأعمال والاقتصاد مختار ناجي رثتيه بذلك الهواء العليل النقي في

هذا الصباح في حديقة فيلته بمدينة الرحاب، قبل أن يفرد ذراعيه وَيَثْبُ إلى حوض السباحة الخاصّ به فغاص جسده الضخم في المياه الزرقاء النقية الهادئة فماجّت به ليشعر بنشوةٍ وانتعاشٍ لذيذةٍ لا مثيل لهما، قبل أن يبرُز بشعر رأسه الأشقر الرمادي الذي غزا الشيب فوديه فوق صفحة الماء وسيح بمهارةٍ واستمتاعٍ تامٍّ مُحاولاً إزالة إجهادٍ وتعَبٍ ليليةٍ عاصفةٍ مرّت به.

وبعد أن شعر بأنه استعاد بعض نشاطه وحيويته تسلّق سلم الحوض ثم جفّف جسده ببشكيرٍ قدّمته له خادمته الصينيّة الحسنة التي جلبت له كوب عصيرٍ مُثلجٍ جرعه دفعةً واحدةً باستمتاعٍ تامٍّ وانتقى كرسيّ شيز لونج قريباً جلس عليه وانشغل بتثبيت ضمادةٍ جديدةٍ على أنفه المصاب، ثم فردّ جسده على كرسيّ الشيز لونج لبعض الوقت ثم لم يلبث أن اعتدل جالساً بغتةً وهو يلمح حارسه الخاصّ قادماً باتجاهه فأشار إلى خادمته بالانصراف، ولم يكّد حارسه يقترب منه حتى بادره قائلاً بلهفةٍ وحزم:

- ماذا فعلت يا إدوارد؟! إياك أن تقول لي إن هناك خللاً أو تقصيراً ما، عندئذ لا تلومنّ إلا نفسك؛ فهذه المهمة التي وكلتك بها لا تحتل الفشل على الإطلاق؟

لم يبال إدوارد بتلك التهديدات وكأنه قدّ من جمود صخرٍ ونظر للحظةٍ إلى

تلك الضمادة التي تغطي أنفه ثم أشاح عنها ببصره وهو يقول ببرودٍ

- اطمئن، كل شيءٍ تمام يا مختار باشا، وكلّ الأمور على ما يرام!

ثم تابع وهو يقول بخفوتٍ:

- كل ما أمرتني به قد تمّ تنفيذه حرفياً، كل الجثث تمّ التخلص منها بطريقتي

الخاصة، وكلّ معالم الجريمة تمّ طمسها ومحوها تماماً، حتى الخبير الشهير

شرلوك هولمز شخصياً لا يمكنه إثبات وقوع جريمةٍ أبداً مهما حاول!

انفجرت أسارير مختار، حتى بدت نواجذه وهو يغمغم قائلاً:

- عظيمٌ جداً، هكذا إذن دون جثثٍ ودون أدلةٍ وإثباتاتٍ. لم تعدّ هناك

جريمةٍ من الأساس، وبهذا تسير الخطة التي وضعتها في سياقها الطبيعي

دون أيّ معيقات أو حواجز تثنيها عن المضي قدماً بنجاحٍ ساحقٍ.

حكّ إدوارد أرنبه أنفه وهو ينظر إليه قائلاً بنفاقٍ واضحٍ:

- أنا رهن إشارتك ورجلك المخلص الأمين يا باشا.

التقط مختار عن المنضدة الصغيرة بجواره، سيجاراً ومدّ يده وهو يقول له

بحماسٍ:

- هيا أعطني قداحتك بسرعةٍ، وانتظر منّي مكافأةً سخيةً في هذا اليوم،



فأنت بالفعل أثبتت أنك عند حسن ظني ولم تخيبه أبداً.

انتزع إدوارد قداحته من جيبه بسرعة وقدمها له وهو يقول بتعجب:

- تفضل يا زعيم، ولكن معذرةً أين هي قداحتك الفضية فأنت كثير الاعتزاز بها! و...

بتر عبارته مع تبسّم مختار ضاحكاً وهو يقول له ساخراً:

- هه.. هه.. قداحتي الفضية!!

أشعل سيجاره ثم أخذ منه نفساً عميقاً، زفره بنشوة وهو يغلق عينيه وأردف مازحاً:

- هذه القداحة لعبت دور البطولة، وكان لها الفضل العظيم في محو الدليل الوحيد ضدي من الوجود، فهي قداحةٌ وفيّةٌ بحقٍّ وقد ضحّت بنفسها من أجلي كي أحيأ وتموت هي.

قال عبارته ثم انطلق يقهقه ضاحكاً بطريقةٍ صاخبةٍ وكأنما قال دعابةً طريفةً أعجبته للغاية، أما إدوارد فأخذ ينظر إليه بدهشةٍ بالغةٍ وحاول جاهداً أن يفهم شيئاً ممّا يسمع عن علاقة القداحة بما حدث والدور الذي لعبته في خضمّ أحداث الليلة الماضية ولكن هيهات! فمهما حاول لن يمكنه إدراك علاقة القداحة بالأحداث المشتعلة... أبداً.

فرك المقدم طاهر وصفي كفيته بتوترٍ وهو يدور في حجرة مكتبه كالليث الأسير، وراح يضرب أحماسًا في أسداسٍ عمّا تتضمنه تلك الصورة التي ينتظر وصول نتيجة تحميضها إليه بين الفينة والأخرى والتهبت أعصابه بشدةٍ مع التخمينات العديدة التي جالت في خاطره، وكاد توتره يفتك به لولا أنه سمع طرقاتٍ هادئةً على باب حجرته فتمالك أعصابه و أسرع بالجلوس على مقعد مكتبه وهو يهتف بالطارق بلهفةٍ:

- تفضل بالدخول يا حازم، إني أنتظرك على أحرِّ من الجمر.

دلف حازم وهو يحمل في يده ظرفًا أبيضَ فأشار إليه بالجلوس، فقدم إليه الظرف قبل أن يجلس على المقعد المقابل وهو يقول له بحماسٍ:

- تفضّل يا سيادة المقدم، نتيجة تحميض الفيلم الكوداك، التي لم يكّد القسم الفنيّ ينتهي منها حتى أسرعْتُ أحملها إليك.

اختطف منه الظرف بلهفةٍ ثم فضّه بسرعةٍ بفتّاحةٍ خطاباتٍ التقطها عن سطح مكتبه وأخرج من الظرف صورةً وحيدةً رفعها أمام عينيه يتأملها مليًا، ولم يكّد يفعل حتى ارتدّ برأسه إلى الخلف مصعوقًا كما لو كانت هذه الصورة تحمل ثعبانًا أرقطَ لدغه ففغر فاه بذهولٍ مُغمغمًا:

- مستحيل!! ما تحمله هذه الصورة هو المستحيل بعينه.

هتف به الرائد حازم متسائلاً بقلقٍ:

- ما هذا المستحيل الذي تحمله هذه الصورة يا سيدي؟

مدَّ له يده بالصورة، فأخذها وتفحصها جيداً ثم نَدَّت منه شهقةً قويةً وارتجفتُ شفتاه وهو يقول بدهشةٍ:

- بالفعل الصورة مرعبةٌ ومدهشةٌ حقاً، وتحمل في ثناياها ألف علامة استفهامٍ وتعجبٍ؟! فهذا الرجل الذي يحمل مسدساً آلياً ويصوبُ فوهته بكلِّ حدَّةٍ وشراسةٍ إلى أحد رجاله يعدُّ أشهرٍ من نارٍ على علمٍ، فهو أحد أباطرة الاقتصاد المعدودين في مصر، بل والأدهى من ذلك أنه عضوٌ بارزٌ في مجلس النواب، وصورةٌ كهذه كفيلاً بتدمير مستقبله العمليِّ والسياسي تماماً.

أشار المقدم طاهر بسبابته إلى الصورة، وهو يميل بجسده قليلاً إلى الأمام قائلاً بحماسٍ:

- من الواضح أن اهتمامك الأكبر انصبَّ في ملاحظة الشخصية الأهم في الصورة والتي تحمل اسم مختار ناجي رجل الأعمال والسياسي الشهير، ولم تُعَرِّ انتباهك جيداً لهوية الضحية التي تنظر إلى جلادها وعلى وجهها كلُّ مرادفات الذهول التام وهو يصوبُ إليها مسدسه بكلِّ شراسةٍ ومقتٍ وكأنه

قاتلٌ محترفٌ وليس مجرد رجل أعمالٍ عاديٍّ!

استند بمرفقيه على سطح مكتبه جاعلاً أصابعه المتشابكة تحت ذقنه وهو يتابع:

- ولو دققتَ النظر جيداً في الصورة فسوف تلاحظ أنّ هذه الجريمة تَمَّتْ باحترافيةٍ عاليةٍ، فالمسدس المستخدم كان كاتمًا للصوت وهذا واضحٌ من فوّهته التي خرجتَ منها الرصاصة محدثةً وميضاً خافتاً لا تخطئه العين الخبيرة باتجاه صدر الضحية المشدوّهة.

حدج الرائد حازم الصورة بحدّةٍ ثم قال باضطرابٍ وحيرةٍ شديدةٍ:

- هذا التحليل يحالفه الصواب ودقيقٌ للغاية، وأهنتك عليه يا سيادة المقدم. ولكنّه صمت برههً قبل أن يستدرك قائلاً:

- ولكن من غير المنطقيّ، أن تتواجد هذه الضحية في هذا المكان أو أيّ مكانٍ آخر، والمفترض أن تتواجد في مكانٍ واحدٍ فقط.

أوماً له المقدم طاهر برأسه وهو يفكر بعمقٍ قائلاً:

- هذا أيضاً صحيحٌ تماماً.

قال عبارته ثم أشار إليه بالتزام الصمت وهو يرفع سماعة الهاتف طالباً رقمًا

خاصًا جدًّا وقبل أن يجيبه الطرف الآخر ابتدره هو بهدوءٍ لطيفٍ:

- السلام عليكم يا سيادة اللواء.

.....

\_ كنت أودُّ الاستفسار عن نزيلٍ في سجن العقرب يُدعى أكرم ناجي؟

!؟.....

\_ أجل يا سيدي، هو توأم العضو البرلماني مختار ناجي، والمتهم بالتخابر

لحساب دولةٍ أجنبية!

!؟.....

- كنتُ أتساءل فقط هل تمكَّن هذا السجين من الهرب؟! أم لازال رهن

سجن العقرب بانتظار محاكمته؟!!

.....

- هذه حقيقةٌ مدهشةٌ للغاية، شكرًا جزيلاً لسيادتكم على أيِّ حال، في

رعاية الله.

وضع سماعة الهاتف بهدوءٍ وعقد حاجبيه بتفكيرٍ عميقٍ وأخذ يفنّد كلَّ

الأحداث بعقليةٍ احتراافيةٍ بحثةٍ، ولم يبالِ بنظرات الرائد حازم الشغوفة

لمعرفة نتيجة هذه المكاملة الحيوية الهامة، وتنهّد بحرارةٍ وهو يغمغم  
بشروءٍ:

- حقًا تقدرون وتضحك الأقدار! ومن الواضح أنه كان لترتيبات القدر الكلمة  
العليا والقول الفصل لكلّ ما نتخيل أننا نُحكّم السيطرة عليه تمامًا، فهذه  
الصورة التي التقطت بالصدفة البحتة تصوّر بطلها وهو يُقدّم على جريمته  
أنّه في مأمنٍ تامٍّ عن عيون البشر، ولكنه أخطأ حتمًا في تصوّره، فعيون الله  
أبدًا لا تنام. فالعوامة النيلية والمنطقة المحيطة بها يلقّها الهدوء من كلّ  
جانِبٍ في ذلك الوقت المتأخّر، ولكنّ القدر يشاء أن يلتقط المصور صورة  
تلك الجريمة في لحظة وقوعها بدلًا من صورة شقيقي وخطيبته.

عندئذٍ استشاط القاتل غضبًا، وهو يقاتل لمحو الدليل الوحيد على ارتكابه  
هذه الجريمة من الوجود؛ فقتل في سبيل هدفه الخسيس ذاك المصور  
الصحفي رؤوف، وكذلك هيام والدليل أنه لا أثر لهما أو لجثتيهما، وكذلك  
شرطي المرور المسكين الذي وُجِدَ صريعًا ثم أتى على شقيقي، وسائقًا لا  
ذنب له سوى أن حظه العاثر، وقدره المحتوم أوقعاه في طريق ذلك القاتل  
الدمويّ ليكونا ختام مشواره الدامي فقتلتهما بأبشع وسيلة، ليُحرق معهما  
الدليل الوحيد ضده، الذي أصبح في نهاية المطاف بحوزتي.

أنصت الرائد حازم لحديثه جيداً، ولكن أعماقه كانت تشتعل بسؤال هامٍّ  
أنهكه فظلاً يدور في عقله كالنحلة الطنانة، ولم يكده ينتهي من تحليله  
الافتراضي حتى قال له بتساؤلٍ حائرٍ:

- كل ما ذكرته استنتاجاتٌ منطقيةٌ وتحتمل الصواب بشدةٍ يا سيادة المقدم،  
ولكن السؤال الأهم الآن هو...

قاطعته المقدم طاهر وهو يفيق من شروده قائلاً بحسمٍ:

- الآن... والآن فقط قد حان وقت العمل الجاد.

قالها وانتفض واقفاً من جلسته ثم دار حول مكتبه وربت بيده على كتف  
الرائد حازم بحزم حتى يشد من عضده، ونظر إلى عينيه ليبثهما كل حماسه  
وهو يُردف قائلاً:

- هيا يا حازم، استصدر أمراً من النائب العام بتفتيش عوامة (لؤلؤة النيل)  
وقم بفحص وتمحيص كل شبرٍ فيها بدقة متناهية وخاصة شرفتها الشرقية  
حتى تعثر على دليل إدانة هذا الرجل الذي تتهمه هذه الصورة بالقتل العمد  
مع سبق الإصرار والترصد، وبالنسبة لي فسأقوم بزيارة غير رسمية لهذا  
الرجل لعل وعسى أستشف من رد فعله تجاه الصورة التي تعد دليل إدانته  
المعنوية، ما يؤكد لي صدق حدسي من أنه قام بقتل توأمه.

هَبَّ الرائد حازم مُنتصبًا وفي عينيه حيرة الدنيا كلها وتمتم بحيرةٍ مُشفقةٍ  
متعجبًا:

- كيف تكون الصورة دليلاً معنويًا! وهي بمثابة دليل إدانةٍ دامغٍ لا يقبل  
الشك على أن مختار ناجي قد قتل شقيقه التوأم بلا ذرة رحمة!  
مطَّ المقدم طاهر شفتيه وهو يبتسم ابتسامةً عريضةً، ثم زفر بحرارةٍ قائلاً:  
- أجل، الصورة تُعدُّ دليل إدانةٍ قويٍّ في حالة وجود جثةٍ تؤازرها وتؤكد  
واقعتها ، ولكن لو انعدمت الجثة فلا قيمة للصورة ولا يُعتدُّ بها من الأساس.  
ثم مال عليه حتى شعر بلفح أنفاسه الحارة على وجهه وهو يستطرد مُطلقًا  
مفاجأته المدوية:

- لأنه وببساطةٍ شديدةٍ، المتهم المدعو أكرم ناجي لا يزال رهن أقوى حصون  
مصر وأكثرها مناعةً، وهو سجن العقرب الذي يقبع فيه بانتظار محاكمته  
بتهمة التخابر لحساب الكيان الصهيونيِّ إسرائيل، ولم يهرب من محبسه  
حتى هذه اللحظة.

قال جملته الأخيرة وهو متيقنٌ من صحة كلِّ حرفٍ ورد فيها، بتأكيدٍ سمعيٍّ  
جاءه من مأمور (سجن العقرب) شخصيًا.





## بلا أثر

توهّجتِ الشمس في كبد السماء في رابعة نهار ذلك اليوم وارتفعتِ حدّة الرطوبة الخانقة إلى حدٍّ لا يُطاق، ليعتري جموع المارة في الشوارع والطرق حالة من الضيق والتأفف، على أنّ المقدم طاهر وصفي لم يكن يشعر بذلك الشعور العام في تلك اللحظة وهو يوقف سيارته بعد أن اختار لها مكاناً خالياً تحت ظلٍّ كبيرٍ لشجرةٍ ضخمةٍ وارفة الأغصان انتشرتْ مثيلاتها بطول الطريق المواجهة لمؤسسة مختار ناجي الصناعية في مدينة السادس من أكتوبر، وضغط على زرِّ إيقاف جهاز تكييف الهواء بسيارته التي غادرها، ولم يكُدْ يخطو بضع خطواتٍ حتى تفصّد عرقه على جبهته وانساب على وجهه لينتابه نفس شعور العامة وهو يعبر الطريق قاصداً ذلك المبنى الشاهق والمكون من ثلاثين طابقاً.

وعند وصوله إلى بوابته الحديدية أبرز بطاقة هويته لحارس المبنى الذي لم يكذب يطلعها حتى نَدَّتْ منه ارتجافاً خفيفةً وهو ينتفض واقفاً من جلسته خلف مكتبه ثم أعاد له بطاقته بعد أن أخذ منها بياناته في دفترٍ ضخمٍ أمامه وهو يقول له برهبةٍ متسائلاً:

- هل من خدمةٍ يمكنني أن أقدمها لك يا سيد طاهر؟

أجابه المقدم طاهر بحزم:

- بالطبع أريد مقابلة مختار ناجي حالاً، على وجه السرعة!

قطب الحارس جبينه متعجباً من تفوّهه باسم مختار ناجي هكذا مجرداً من أية ألقاب، ولكنه أوعز ذلك التجاهل للقب من استعلاء في المنصب الأمني المرموق الذي يشغله، فقال له مستوضحاً الأمر:

- هل تقصد سيادتكم مختار بك ناجي رئيس مجلس إدارة المجموعة الصناعية الأولى لصناعه الرخام والسيراميك في مصر والشرق الأوسط؟

وأوماً له المقدم طاهر برأسه إيجاباً وهو يقول له بحسم:

- بالضبط! هو نفسه من أقصده.

ثم زفر بحرارةٍ وهو يستطرد بحنق:

- والآن كاد صبري ينفد، وأعتقد أنني ضقت ذرعاً بهذا الانتظار السخيف،  
هيا أخبره أنني أريد مقابلته في التوّ واللحظة.

لم يكد ينتهي من عبارته حتى أسرع هذا الحارس بالاتصال بمدير مكتبه  
الذي أخبره على الفور بما يطلبه، وكان مختار في تلك الأثناء برفقة إدوارد،  
فعقد الأول حاجبيه بتساؤلٍ قلقٍ عندما علم بمنصبه الأمني الرفيع المستوى،  
وارتجفت شفتا الثاني وهو يقول باضطرابٍ شديدٍ:

- ماذا يريد هذا الرجل بالضبط من هذه الزيارة؟

ثم أردف بثقةٍ:

- لقد محوتُ كل الآثار المترتبة على الأحداث، ولا أعتقد أنه يمكن توجيه  
اتهام ما، دون قرائن وأدلةٍ ماديةٍ قويةٍ.

قال له مختار بابتسامةٍ باردةٍ:

- يا خبر الآن بنقود، بعد لحظات يصبح مجاناً.

ثم أشار إليه بالانصراف وهو يستطرد قائلاً:

- هيا ارحل الآن وانتظر في الحجرة المجاورة تعليماتي، التي سأرسلها لك  
على الكمبيوتر المحمول (Lap-top) بالشفرة المتعارف عليها فيما بيننا

لاتخاذ الخطة المناسبة تجاه هذا الظرف الراهن.

وبالفعل غادر إدوارد الحجرة منتظراً المستجدات من الأحداث، ولم يكذب ينصرف حتى ضغط مختار زرّ الاتصال الداخلي وأمر مدير مكتبه بالسماح للمقدم طاهر أن يصعد إليه ليقابله، وبالفعل ما هي إلا لحظات قليلة حتى أفسح له رجل الأمن الطريق إلى المبنى الشاهق الذي سار فيه بخطى مسرعة، حتى أنه لم يتوقف ليلقي نظرة على تلك النافورة الأسطورية الخلابّة في باحة المبنى، ولم يعر انتباهه لرواق المبنى الفسيح الذي شيد من فسيفساء بديعة لأنّ ذهنه كان مشغولاً بما حدث لشقيقه، واستقلّ المصعد الفخم ليعرج به إلى الطابق الثلاثين حيث حجرة مكتب مختار ناجي، الذي استقبله بوجهٍ حادّ القسّات خالٍ من الانفعالات، وهو يمدّ يده لمصافحته قائلاً:

- أهلاً بقدومك وتشريفك لي بهذه الزيارة يا سيد طاهر و...

صدمه ردّ فعل المقدم طاهر المنافي تماماً لأدّاب الذوق العام عندما تجاهل يده الممدودة، وجلس على أقرب مقعدٍ صادفه وهو في قرارة نفسه يتمنّى لو يلكمه في وجهه لا أن يصافحه جراء ظنونه بأنّه قاتل شقيقه ولكنّ مختاراً بهدوءٍ يحسد عليه تجاوز تلك البادرة غير المريحة وهو يجلس خلف مكتبه

قائلاً بهدوءٍ مثيرٍ مُتسائلاً:

- فليكن يا سيد طاهر، هل يمكنني معرفة نوعية هذه الزيارة؟ أهى رسمية أم ودّية؟

أجابه المقدم طاهر وعيناه تحويان مقت الدنيا:

- دون الدخول في سفسطةٍ كلاميةٍ لا طائل منها، ودون لفٍّ أو دورانٍ، سأخبرك مباشرةً بالأمر.

ثم استطرد وهو ينقر بأنامله على سطح المكتب متسائلاً:

- أريد أن أعرف أين قضيت ليلة أمس، وتحديدًا بعد منتصف الليل؟

أجابه مختار ببرودٍ مُستفز:

- هو إذن تحقيقٌ رسميٌّ! ومن الواضح أنك لا تعلم أنني أمتلك حصانةً برلمانيةً تمنعك من توجيه تساؤلاتٍ رسميةٍ دون إجراءاتٍ قانونيةٍ عديدةٍ لن يتسنى لك الحصول عليها سوى بمشقةٍ بالغةٍ، وبالرغم من ذلك سأجيب على تساؤلك.

التقط سيجاراً ثم أشعله وهو يردف بخبث:

- لقد قضيتُ ليلة أمس في مكنتي لعقد بعض الصفقات ومتابعة سير

العمل، لأنَّ هناك شحنآٓ مطالبون بتصديرها في القريب و...

صمت برهةً وهو يزفر دخان سيجاره في وجه المقدم طاهر، بحركة تبدو غير متعمدة وهو يستطرد:

- ويشهد على ذلك دستةٌ من الموظفين بالمبنى من أنني لم أغيره سوى في الصباح الباكر.

ابتسم المقدم طاهر ابتسامةً ساخرةً ثم قال بحدةٍ.

- بالطبع سيشهد لصالحك كل من تريد ممن عينتهم مؤخرًا بدلاً من أسلافهم، مُهيكلًا بذلك معظم وظائف العاملين بمصانعك وشركاتك لسببٍ غير معلوم على الإطلاق.

ضاقتُ حدقتا مختار وهو يبتسم ابتسامةً مقببةً قائلاً:

- من الواضح أنك استخبرتُ عني جيداً قبل قدومك إلى هنا يا سيد طاهر.

قال له المقدم طاهر وهو يدسُّ يده في جيبه:

- دون استخبار، أخبارك القذرة تملأ الجرائد والمجلات وبرامج التوك شو.

ثم أخرج يده حاملاً صورةً، استدار بها إليه ثم ثبَّتْها أمام عينيه بغضبٍ مُردِّفاً:

- وصورتك النجسة تَدنّس ملباسي!

نَدتّ عن مختار في تلك اللحظة اختلاجةً بسيطةً في جفنه الأيسر لم تَخَفَ على المقدم طاهر وتداركها الأول بقناعٍ من ثلجٍ وهو يتظاهر بالدهشة قائلاً بتعجُّبٍ:

- ما هذه الصورة المدهشة!!؟

ثم ابتسم بسخريةٍ وهو يضغط على أزرار الكمبيوتر أمامه بخفةٍ مُستطردًا:

- يا لألعاب الفوتوشوب! يمكنها أن تجعلك في أيِّ موضعٍ يحلو لها حتى ولو كان غير منطقيّ.

انتفض المقدم طاهر من مقعده، وهبَّ معتدلًا فجأةً وهو يحدجه بعينه بحدّةٍ ودسّ الصورة مرةً أخرى في جيبه، ثم مال عليه وهو خلف مكتبه وأمسكت يمينه بتلابيبه مُرغمه على الانحناء تجاهه ثم نزع سيجاره بيسراه من فمه واطاح به وهو ينفجر فيه صائحًا بغضبٍ عارم:

- هي كلماتٌ أخيرةٌ، خُذها مني أيها الوغد، أنا وأنت متأكدان يقينًا أنّ هذه الصورة سليمةٌ لا ريب فيها كالشمس في رابعة النهار، وبسببها قتلت شقيقي وخطيبته وصديقه بلا شفقةٍ ولا رحمةٍ، وربما القصاص العادل منك سيؤجّل قليلًا حتى أعرّ على الدليل الماديّ الذي لا غبار عليه، والذي به



سُتَوَقَّ أنشودة الإعدام عنقك عما قريب، وحتى ذلك الحين تذكر جيداً أنك منذ هذه اللحظة أصبحت قدرتي وهَمِّي الشاغل وتأكّد أنك لن تفلت بفعلتك الشنيعة أبداً مهما طال الزمن.

قال عبارته ثم كال له لكمةً قويّةً في وجهه أودعها كلّ غضبه ومقته، جعلته يتراجع للخلف بحدّةٍ ويسقط بمقعده أرضاً بقوةٍ مُفترشاً أرضية مكتبه الذي غادره المقدم طاهر بغضبٍ شديد، ولكنّ مختاراً كتم آلامه بصعوبةٍ وهو يتحامل على نفسه وينهض مسرعاً، وهو ينظر باتجاه شاشة رصدٍ عملاقةٍ تبثُّ فيديوهاتٍ متواصلةً وتَنْصُتُ دائمً على جميع العاملين في كلّ مكانٍ في المبنى، وعندما حدّد نقطة تواجد المقدم طاهر الذي كان في طريقه للمصعد عندها وثب إلى جهاز الاتصال الداخلي ضاغطاً زرّاً محدداً يتصل بعامل المصعد وهتف به بحدّةٍ:

- هيا قُمْ بتعطيل هذا الرجل القادم إليك في تلك اللحظة عن النزول بالمصعد بالسرعة اللازمة.

وفي تلك الأثناء دخل عليه حارسه إدوارد الذي ابتدره قائلاً بحسم:

- كلّ شيءٍ تحت السيطرة يا مختار باشا، فمنذ أرسلت إليّ بالشفرة الخاصة لتنفيذ الخطة وضعتهما بالفعل قيد التنفيذ، ولو قدّر لها الفشل فلا أظنه

أبدًا سينجو مما خبأته له، وما هي إلا لحظات قليلة حتى يكون هذا المقدم ومستقبله في خير كان وأستأذنك للذهاب لمتابعة تطورات الأحداث بنفسني عن كئيب.

زفر مختار بغضبٍ عارمٍ وهو يلوح بيده قائلاً بصرامةٍ:

- هذا الرجل تجرأً ولكمني بقوة، والأدهى من ذلك أنه يتحداني بأنه سيكشف ما حدث عما قريب، لذا فأدنى عقابٍ له هو السحق وبلا رحمة. ثم التقط منظاراً مقرَّباً وحمله مسرعاً إلى شرفة مكتبه وهو يشير إليه بالانصراف فأسرع بمغادره المكتب ومن خلفه دوت ضحكة مختار الشرسة وهو يهتف بسخريةٍ:

- لحظات معدودةً وتصبح أثراً بعد عينٍ أيها المقدم الهمام، والآن يحين وقت المرح، مع أمنياتي بمشاهدةٍ ممتعةٍ.

خرج المقدم طاهر ساخطاً مما حدث ومن تأخر المصعد في الهبوط، ثم توقف مشدوهاً في المكان الخالي الذي كانت تحتله سيارته فقد اختفت، ودار ببصره يميناً ويساراً بحيرةٍ بالغةٍ، ولكن دون جدوى، فالسيارة غير موجودةٍ كأن الأرض انشقتُ بغتةً وابتلعتهَا في جوفها لتجعلها بلا أثرٍ على الإطلاق. وبينما هو كذلك بذهنه المشدوه وحيرته الشديدة التي أخذتُ منه

مبلغاً إذ بسيارةٍ من طراز بورش بيضاء ذات سقفٍ مكشوفٍ تنطلق بسرعةٍ  
رهيبيةٍ باتجاهه بغية الاصطدام به وسحقه سحقاً، وهو في حالة كُمونٍ تامٍّ  
لم يتحرك قيد أنملةٍ والحيرة والدهشة تعتريانه تماماً، من قمة رأسه وحتى  
أخمص قدميه، وفي غفلةٍ لذلك الأمر المدبّر بحنكةٍ ودقةٍ بالغتين  
لتمضى الخطة في طريقها الصحيح وكما هو مخططٌ لها،  
وأطبق الفخّ فكّيه بكلّ شراسةٍ وقوةٍ وبأقصى سرعةٍ.

\*\*\*\*\*

انطلق الرائد حازم خيرى ينهب الأرض نهباً بسيارته الحمراء الخاصة، طراز  
فيات ١٢٨. التي يقودها وفي إثره سيارةٌ شرطيةٌ زرقاء في طريقهما لمعاينة  
وتفتيش عوامة لؤلؤة النيل.

وربّت الرائد حازم على جيبه الذي يحوي أمر النائب العام شخصياً بتفتيش  
تلك العوامة، وهو يأخذ شهيقاً قوياً لم يلبث أن زفره من أعماقه بلفحةٍ  
حارةٍ حملت كلّ ما يجيش في صدره من انفعالاتٍ شتى وهو يضغط دواسة  
الوقود مُتمتّماً بلوعةٍ وحسرةٍ:

- آه.. آه.. يا طارق! لو تعلم كم أوحشتني ما تركتني ورحلت عن دنيانا أبداً،  
يا نديم الفكر ورفيق العمر.

قال عبارته ثم أطلق لذكرياته العنان ليتذكر الأيام الخوالي التي قضاها مع صديق عمره طارق وصفي الذي رافقه ولازمه أجمل أيام وليالي حياته، بسنوات السعادة والشقاء، وأعوام الدراسة التي ضَمَّتْهُما سوياً، منذ المرحلة الابتدائية وحتى نهاية المرحلة الثانوية، لتأتي المرحلة الجامعية؛ مرحلة تحديد المسار، فاختار هو كلية الشرطة، واختار صديقه كلية الإعلام، لكن هذا لم يكن حائلاً لاستمرار تلك الصداقة العميقة، ولم يؤثر عليها أنه أصبح الرائد حازم الذي يعمل تحت إمرة المقدم طاهر الأخ الأكبر لصديقه.

انتبه من ذكرياته على توقف سيارة الشرطة التي تجاوزت سيارته مع شروده وإبطائه للسرعة، لتتوقف على جانب طريق كورنيش النيل بالقرب من ضاحية حلوان في المكان الذي يُفترض أن تتواجد فيه عوامة (لؤلؤة النيل)، فضغط كابح سيارته بحدّة لتصدر من إطاراتها صريراً مُخيفاً وهي تحتكُّ بالإسفلت قبل أن تتوقف خلف السيارة الشرطة وغادرها، وهو يفغر فاه بذهولٍ ويعقد ساعديه أمام صدره مغمغماً ومتسائلاً بدهشة الدنيا:

- وَيْ! بحق السماء، أين ذهبت هذه العوامة اللعينة؟!

جاوبه دويّ الصمت الرهيب من كل ما حوله باستثناء نفير السيارات المتصاعد، والجميع يشاركه دهشته وكأنّ على رؤوسهم الطير ويحدقون

في تلك البقعة النيلية التي من المفترض أنها كانت تحمل العوامة المعروفة باسم (لؤلؤة النيل)، وكأن مياه النيل قد انشقت وابتلعتها، حتى الجزء الذي كانت تحتله من قبل، أصبح فيه أشجاراً عديدةً متنوعةً وارفةً الأغصان خضراءً يانعةً مزدهرةً ومزدانةً.

هكذا فجأة بين عشية وضحاها! حتى يُخيّل للمتأمل والعارف بحقيقة المكان أنه خيالٌ افتراضيٌّ غيرٌ موجودٍ، ولكنه في حقيقة الأمر للعين المُجرّدة واقعٌ مدهشٌ بلا جدال. انتاب أفراد الشرطة والقوة المُصاحبة للرائد حازم في تلك اللحظة كلّ مرادفات الحيرة المشفقة لما يرونه بأَم أعينهم من مشهدٍ يصعب تصديقه بالفعل، ثم نظروا إليه متسائلين عن ماهية الخطوة التالية التي من المُنتظر إقدامهم عليها، فانتبه إليهم وكأنّه يراهم لأول مرةٍ وهو يحدق في وجوههم لترتجف شفتاه قبل أن يجيبهم بخيبة أمل وبأسى بالغٍ بكلماتٍ مقتضبةٍ:

- يمكنكم الانصراف الآن أيها السادة، للأسف لم يعد لوجودكم داعٍ.

قال عبارته فاستجابوا له دون بنت شفهِ وهو يستقلون سيارتهم ويستديرون بها ليعودوا من حيث أتوا بخيبة الرجاء والأمل وهم يحملون في جوانحهم الإحباط، و الإخفاق لأنهم رجعوا بخفي حنين.

أما الرائد حازم فقط اعترته مشاعرُ جياشةٌ من الإحباط والغضب لأنه فقد طرف الخيط الذي كان سيمكّنه من تحديد قاتل صديق عمره، عندها ومن خلف سياج الكورنيش المغلق الذي لا يتصور أحدٌ أنه كان أمس مفتوحًا على مصراعيه كمهبطٍ في الطريق إلى (لؤلؤة النيل)، وأخرج من جيبه قرار النائب العام ومزّقه بكلتا يديه بحنقٍ بعد أن أصبح بلا قيمةٍ ثم طوّحه بطول ذراعه على صفحة مياه النيل، في البقعة نفسها التي كانت تحتلّها العوامة الخفيّة، التي كانت مرئيةً في الماضي القريب، لتتساقط قصاصات القرار في المياه كعصافير النيل الصغيرة تنعى صديقه الشهيد الراحل الذي قُتل غيلةً وغدرًا بلا رحمة.

عندها، وبحركةٍ تلقائيةٍ لإراديةٍ ركل بقدمه بحسرةٍ وبمرارةٍ رصيف الكورنيش لتتقافز أمامه تلك العملة المعدنية ثم تستقرّ على بعد خطواتٍ قليلةٍ منه، خَطَاهُما ثم انحنى يلتقطها ورفعها بمحاذاة عينيه ظنّها بداية جنيتها مصريًا، تأمله ليشهق بقوةٍ هذه المرة لأنه ميزها وعرفها جيدًا منذ اللحظة الأولى لرؤيتها، فعصف عقله بفكرة وجودها في هذا المكان تحديدًا، فتأملها بوجهيها الذي يحمل أحدهما نقشًا لشجرة نخيل وكتابة بالعبرية حولها، وعلى الوجه الآخر رقم (١٠)، وكلمة شيكل جديد وكلمة أخرى...مكررة بعدة لغات منها العربية، قرأها «إسرائيل»



## بأقصى سرعة

ابتسم مختار ناجي بشماتةٍ، هو يرقب ذلك الحادث بمنظاره المقرب من شرفة مكتبه في الطابق الثلاثين ثم حبس أنفاسه وهو يحدّق في عدسه المنظار بشغفٍ وصاح بحماسٍ:

- هيا أيها الرجل حطّم أنف هذا المتغطرس واسحقه بسيارتك بلا رحمةٍ.  
وكأنما سمع قائد السيارة صيحته فأخذ يضغط على دواسة الوقود بكلّ عزيمةٍ وإصرارٍ، لتنتقل سيارته بأقصى سرعتها باتجاه ضحيتها التي انفصلت عن الواقع المُحيط بها لتدنوّ منه بسرعتها الرهيبة فلم تعدّ تفصلها عنه سوى بضعة أمتارٍ.

وحقاً لم تكن هناك قوةٌ في الأرض تحول بين حدوث الاصطدام الساحق



للسيارة البورش بجسد المقدم طاهر في تلك اللحظة الحرجة والقاتلة، ومع اقتراب السيارة منه انتبه فجأةً إلى ضجيج إطاراتها ولمحها بطرف عينه وكاد يسبق السيف العذل مع انعدام فرصة نجاته التي دَنَّتْ إلى ما تحت الصفر. وجاء رُدُّ فعله مدهشاً؛ فلثانيةٍ واحدةٍ فكر ثم اتَّخذ قراره الحاسم، وهو ينفذ عن عقله الشرود والحيرة و يستنفر جميع أعضائه ويستجمع كلَّ قواه وهو يثني جذعه ثم يفرده في وثبةٍ هائلةٍ إلى الأعلى تجاوزت الثلاثة أمتار في مرونةٍ ورشاقةٍ مدهشتين نافس بها أعظم أبطال الأكروبات في السيرك وهو يرفع يديه عاليًا ويتعلق بفرع الشجرة التي كانت تُظَلُّ سيارته، حتى إنه شعر بلفحة تيار الهواء الساخن الناشئ عن السرعة الرهيبة للسيارة التي عبرت تحت قدميه وتجاوزته واستمرت في شقِّ طريقها دون أن تظفر به، وتأرجح جسده للحظةٍ ثم أفلت فرع الشجرة ليهبط على الطريق الإسفلتي ببساطةٍ شديدةٍ يُحسد عليها، لتصطكَّ أسنان مختار ببعضها وهو يعتصر منظره بقوةٍ حتى كاد يحطمه بكلتا يديه في هذه اللحظة، وهو يصرخ ساخطاً:

- تَبَّأ لك! ربما أفلت من قبضة الموت مؤقتاً، ولكن الأمر لم ينته بعدُ أيَّها

المحظوظ المتحذلق!

قال عبارته، ثم أسرع يلتقط هاتفه الخليوي ليتصل بحارسه الخاص الذي لم يكذب يسمع صوته حتى صرخ به:

- هيا بسرعة ودون إبطاء، حلق بالطائرة الهليكوبتر التي فوق سطح المبنى وطاردها بها ذلك الشيطان ولا تتركه سوى بعد أن تسحقه بلا هوادة.

أجابه إدوارد بأسى:

- هذا الرجل محظوظٌ بحق يا زعيم، ولكنني أعدك أنني لن أتركه سوى جثة هامة.

قالها ثم أسرع ينفذ ما وعد به مخدومه الذي تغلي دماؤه كحمم بركانية من شدة غضبه لما حدث له، وفي تلك الأثناء كان المقدم طاهر ينطلق بدراجة بخارية استحوذ عليها من جانب سور المبنى، وكانت لأحد الحراس ليطارده سيارة القاتل الذي رآه في المرآة الجانبية للسيارة، فأخذ يطلق عليه النار بغزارة، ولكن المقدم طاهر أخذ يتمايل بالدراجة البخارية باحترافية عالية مكنته من تفادي الرصاص، وحلقت طائرة هليكوبتر ارتفع أزيزها في تلك اللحظة يقودها أحد رجال مختار ببراءة فائقة ويبرز من بابها المدعو إدوارد قابضاً بكلتا يديه على مدفع آلي، أخذ يطلق منه النيران بكثافة عالية باتجاه المقدم طاهر الذي ناوره وراوغه ببراءة مدهشة وهو يهدئ من سرعة

دراجته البخارية تارةً ويسرع بها تارةً أخرى في خطٍ متعرجٍ وكأنه بهلوانٌ حقيقيٌّ، ولهذا لم تُصَبْه رصاصةٌ واحدةٌ وإدوارد يصرخ فيه بحنقٍ:

- ستموت يا هذا، أقسم بذلك، فالحياة لا تتسع لكلينا معًا.

وهنا جاء دور المقدم طاهر، وهو يستلُّ من جرابٍ مُعلَقٍ تحت إبطه مسدسه الخاص الألماني من طراز (والتر)، وأخذ يطلق الرصاص باتجاه الهليوكوبتر ، فارتدَّ الرصاص عنها دون أن يصيبها حتى بخدشٍ واحدٍ، وضحكة إدوارد الساخرة تتسع لتغمر وجهه كله وهو يقول بشماتة:

- هل أنت أحمق يا هذا؟! أستسقط طائره هليوكوبتر مُصَفَّحة بمسدسك

الهزيل هذا!؟!

قالها وهو يضغط زناد مدفعه الآلي وأسنانه تصطكُ ببعضهما بمقتٍ لتنهمر الرصاصات كالمطر باتجاه الدراجة البخارية التي دار بها المقدم طاهر في تلك اللحظة دورةً كاملةً إلى الخلف في حركةٍ أوروبيةٍ مدهشةٍ، ثم صوب مسدسه مرةً أخرى بكلِّ دقةٍ باتجاه الهليوكوبتر وهو يقول بصرامةٍ:

- لقد فشلت محاولتك لاقتناصي أيها الوغد، والآن حان دوري.

وانطلقت رصاصاته صوب جسم المدفع الآلي فأصابه بإصابةٍ مباشرةٍ أرغمت إدوارد على أن يتراجع بظهره إلى الخلف في حركةٍ حادةٍ، فترك

المدفع الآلي ليسقط مصطدماً بقارعة الطريق الإسفلتي مُخلفاً دويًا هائلًا،  
واختل توازن الطائرة للحظةٍ جراء ارتباك قائدها الذي اصطدم به إدوارد في  
لحظة تراجعهِ، ولكنَّ بمهارةٍ وحنكةٍ مذهلةٍ تمكَّن من استعادة السيطرة  
عليها، واستشاط إدوارد غضبًا وهو يصرخ في حنق:

- سحقًا لك، لقد جرّدتني من أحد أسلحتي أيها المغرور، وهذه الفعلة لن  
أغفرها لك وسأعاقبك عليها بكل قوةٍ وحزمٍ.

قال عبارته وقائد الطائرة يدير عصا القيادة بمهارةٍ لتحلّق الهليوكوبتر  
بارتفاعٍ منخفضٍ للغاية، وزاد من سرعتها حتى تجاوز بها الدراجة البخارية  
ثم استدار يواجهه و إدوارد يلتقط من جرابٍ في خصره مسدسًا آليًا بلجيكيًا  
من طراز(هرستال)

وصوّبه تجاهه، ثم ضغط بسبابته بقوةٍ على الزناد وعيناه تتقدان بنار  
الغضب المستعر.

وفي تلك اللحظة كانت سيارة القاتل تهدئ من سرعتها بسبب حُدوب الأرض  
بفعل مطبِّ صناعيٍّ كانت تعبّره، وفي إثرها الدراجة البخارية التي يستقلّها  
المقدم طاهر الذي لمح ذلك الحُدوب في الطريق فأدار بقبضته اليمنى  
مقود دراجته مع انحناءٍ بسيطةٍ بجسده ليندفع الوقود متدفقًا بغزارةٍ إلى

المحرك لتسرع الدراجة في تلك اللحظة فجأةً، وتطيش رصاصات إدوارد بعد انطلاق الهدف بغطّةٍ من وضعية السرعة البطيئة إلى السرعة القصوى بتلك الوضعية المائلة، لتدنو بسرعةٍ من ذلك المطبّ الصناعي وعندما لامسه إطار الدراجة الأمامي جذب المقدم طاهر المقود إلى أعلى ليرتفع إطارها الأمامي عاليًا ثم قفزت به الدراجة قفزةً هائلةً، محلقةً فوق سيارة القاتل الذي فغر فاه بذهولٍ مما يحدث فوق رأسه، ثم وثب المقدم طاهر من الدراجة وهي تحلق في الهواء بأعصابٍ فولاذيةٍ ومهارةٍ مبهرةٍ ليس لهما مثيلٌ ثم دار بجسده دورةً في الهواء قبل أن يسقط على رأس القاتل المذهول.

أمّا الدراجة، فاستمرت في التحليق عاليًا في الهواء حتى وجدت في طريقها الهليوكوبتر ، عندئذٍ تمنى إدوارد من كلّ قلبه أن يتسّمّر الزمن ويتجمد تمامًا في تلك اللحظة ولكنه أبى، لسوء حظه العاثر، لم يستطع الطيار تغيير وجهة الطائرة التي كانت بمواجهة الدراجة المنطلقة في الهواء مباشرة، لم يجد له فرصةً للهروب من القدر المحتوم وفشل الطيار في تفادي الارتطام بها، ليحدث الانفجار الرهيب المدوّي في السماء والطائرة تشتعل ثم تتساقط أجزاءها المشتعلة لتنتشر كسهبٍ من نارٍ على مساحةٍ واسعةٍ، لترطم شظاياها بسيارة القاتل وهي تنطلق مرةً أخرى بسرعتها متجاوزةً

منطقة الانفجار وهي تضمّ المقدم طاهر والقاتل الذي صوّب مسدسه مرّةً أخرى في وجهه بعد زوال آثار المفاجأة وهو يصرخ ضاغطاً الزناد بكلّ قوّة:  
- مُتّ أيها الرجل، هل عقدتَ صفقةً مع الموت حتى يتغاضى عنك ولا يقترب منك!

مال المقدم طاهر جانباً مُتفادياً رصاصة القاتل وهو يضمّ قبضته ويطوّحها بلكمةٍ قويّةٍ كالصاعقة بين عينيه وهو يهتف ساخراً:  
- وما يضريك في هذا الأمر أيها الوغد القاتل!؟

ثم رفع قدمه ليضغط بها على فرامل السيارة وهو يستطرد:  
- هنا آخر الخط يا صاح، أم تريد محاولةً أخرى للقتل الذي فشلتَ في تنفيذه!؟

ركل القاتل قدمه قبل وصولها إلى الفرامل وهو يعيد تصويب المسدس إليه ويضغط الزناد معاوداً الكرة مرّةً أخرى وهو يهتف بشراسة:  
- أجل! أريد محاولةً أخرى وأعدك هذه المرة أنّ النجاح سيحالفني وسأقضي عليك تماماً بلا رحمة.

رفع المقدم طاهر يمينه وأمسك بمعصم القاتل وببسراره قبض على تلايبه،

ثم رفع قبضته الممسكة بالمسدس عاليًا قبل ثانيةٍ من إطلاقه الرصاص فطاشت الرصاصة في الهواء، ثم رفع يده القابضة على معصمه ككلايةٍ من فولاذٍ وأخذ يهوي بها على باب السيارة مراتٍ عديدةً حتى أدماها.

فاضطر القاتل مرغمًا أن يُفْلِت المسدس من يده فطار خارج السيارة ثم أخذ يزحف على الإسفلت كالثعبان قبل أن يغيب عن الأبصار مع سرعة السيارة التي كانت في تلك الأثناء خارج نطاق السيطرة تمامًا.

ودون قائدٍ فعليٍّ بعد أن اشتدَّ وطيس التصارع المستمر من قبل راكبيها الذي كان اشتباكهما كالحرب الضروس، تركت مسارها تمامًا وانحرفت عن الطريق إلى خارجه باتجاه خزان مياهٍ عالٍ تحت الإنشاء كان يقبع على جانب الطريق، وقبل الاصطدام به تمكن المقدم طاهر من إيقاف السيارة على بعد خطواتٍ قليلةٍ منه، وفي اللحظة نفسها وبانشغاله في إيقاف السيارة وهو يثني جذعه على عجلة القيادة انتزع القاتل من جرابٍ خاصٍ يطوّق ساقه خنجرًا ماضيًا ذا نصلٍ مُشرشٍ بأسنانٍ حادّةٍ ثم رفعه عاليًا وعيناه تقدحان بالغضب العارم من جرح وجهه ثم هوى بالخنجر على عنق المقدم طاهر وهو يصرخُ بشرًّا متّقد:

- هيا متّ، أيها القط بسبعة أرواح!

وبالرغم من انشغال المقدم طاهر بإيقاف السيارة إلا أن حواسه كانت منتبهةً تمامًا لما يُحاك حوله، لهذا لم يكذب يلمح القاتل وهو ينتزع خنجره من غمده حتى استنفر غريزة البقاء في أعماقه وهو ينحني جانبًا ليتفادى نصل الخنجر ولكن -وآه من لكن هذه- ، كانت السيارة تعوقه عن حرية الحركة بالسرعة اللازمة وهو في هذه الحالة.

لذا فقد نجح بالفعل من تجاوز الخنجر لعنقه ولكنه فشل في النجاة كليًا من تلك الطعنة ليغوص في كتفه فيصرخ بألم رهيبٍ، بعد أن أحدثت الطعنة جرحًا غائرًا في كتفه، أخذ ينزف بدماءٍ غزيرةٍ وكانت فرصةً مثاليةً للقاتل كي يرفع خنجره مرةً أخرى ثم يهوى به على جسده، ولكن هيهات! فقد فارت الدماء في عروق المقدم طاهر وانقبضت عضلاته ثم انبسطت حتى بدا في تلك اللحظة كأحد أبطال الأساطير الخارقين، وتحركت أطرافه بلطمةٍ رهيبيةٍ في وجه القاتل أودعها كل غضبه وهو يصرخ فيه بحدة:

- محاولةٌ أخرى فاشلة، وهيهات أيها القاتل الخسيس! لا يزال في العمر بقيةً.

ثم استجمع كل قوته وهو يثني قدميه ويفرد ظهره إلى الخلف واضعًا كَفَّ يديه على باب السيارة من خلفه فأنَّ كتفه بألمٍ فظيعٍ، ولكنه كتمه بصعوبةٍ



وهو يفرد قدميه في بطن القاتل بسرعةٍ خاطفةٍ حتى إنه لم يجد فرصةً لردِّ فعلٍ مناسبٍ يتّقي به تلك الضربة الساحقة التي من شدتها طارت به مُخترقاً في طريقه باب السيارة الذي حاول التشبث به، ولكنه لم يفلح وفشل لقوة الدفعة، ثم تركه رغباً عنه وهو يلطم مرآة السيارة الجانبية، ومضى لمتريّن آخرين قبل أن يهوي أرضاً بعنفٍ ثم يميل بجسده في حركةٍ حادةٍ جانباً وينبطح على بطنه ووجهه منكفئاً في الرمال بلا حراكٍ نهائياً كجلمود صخرٍ فاندesh المقدم طاهر بشدةٍ لجموده فأسرع بمغادرة السيارة وأخذ يهزه بقوةٍ ولكن دون جدوى، فأدار جسده ليكون ظهره على الأرض فوجد عينيه قد جحظتْ وتسمّرت كالحجر وخنجره لا يزال في قبضته وقد غمد حتى مقبضه في قلبه، فارتفع حاجباه بدهشةٍ بالغةٍ وهو يغمغم بحسرةٍ في حزنٍ مريرٍ:

- رحماك يا رب، ماذا جنيت يا رجل من متاع الدنيا سوى عملٍ غيرٍ صالحٍ وميتةٍ غيرٍ محمودةٍ!

وفي تلك الأثناء كان قائد الونش البرجيّ المركزيّ، الذي يرتفع عن الأرض بمسافةٍ خمسين متراً تقريباً والمثبت بخزان المياه العالي الذي كان تحت الإنشاء، يتحدث مع طرفٍ آخر في هاتفه الخليويّ وهو يجلس في كابينه

القيادة والتحكم أعلى الونش البرجيّ بمنصف اليندا تحديداً ويقول بلهفة:

- ها هو ذا يا مختار باشا من أخبرتني أن أرتقب وصوله، رأسه أسفل هوك الونش بالضبط، وتنتظره مينةٌ بشعةٌ لا تخطر بباله ولا يتمناها مخلوقٌ حيٌّ أبداً، ولم يتبقَّ سوى إشارةٍ من سيادتك ببدء التنفيذ، ويكون هذا البانس في خبر كان.

سمع مختار ناجي يجيبه من الجانب الآخر بصوتٍ حماسيٍّ حتى كاد صوته يصمُّ أذنيه وهو يصرخ فيه بحزم:

- وماذا تنتظر إذن يا رجل؟ هيا دون ذرةٍ تردّدٍ اجعل هذا الحقيير يذهب إلى غياهب الجحيم بسرعة البرق، وبعد ذلك انتظر مكافأتك التي لم تكن تحلم بها أبداً.

تهلّل وجه السائق وابتهج عند سماعه ذكر المكافأة، فانتشى وهتف بحماسٍ منقطع النظير:

- أمرك يا مختار بيه، وهيا أتّل الصلاة الأخيرة على هذا التعس الحيّ الذي سيكون بعد لحظةٍ واحدةٍ في عداد الأموات، ليظفر بلقبٍ جديدٍ مع رفاقه في قلب الجحيم.

ثم ضغط على أزرار تشغيل الونش البرجيّ وهو يستطرد بظفر:

- هيا! قل وداعاً لعالم الأحياء أيها المرحوم المنتظر بعد تلك الحركة القاتلة.  
هتف بجملته الأخيرة، ولم ينتظر ردّاً من الجانب الآخر بل عاجله باقتضابٍ  
حاسم:

- دقائق وأبشرك بما يطرب له سمعك يا مختار باشا.

قالها وهو يلقي هاتفه جانباً وقام بسرعةٍ خاطفةٍ بتحريك ذراع كايح (وير)  
الونش الذي يتدلى في نهايته هوك ضخمٌ تتعلق به حزمةٌ هائلةٌ تربو على  
الطنين من حديد التسليح ذي تسعة عشرملي، ومع هذه الحركة الحادة  
العنيفة ارتجت اليندا بقوةٍ وتأرجح (الوير) بالحزمة الهائلة لحديد التسليح،  
ثم كان ردُّ فعلها أن تركت الهوك لتهوي من السماء على رؤوس الأشهاد  
بعجلة الجاذبية الأرضية من هذا الارتفاع الشاهق لتنتشر على مساحة  
دائرةٍ نصف قطرها عشرون متراً تقريباً وفي مركزها رأس المقدم طاهر  
وصفي تحديداً، الذي كان في تلك اللحظة الحرجة يدنو من السيارة وغير  
منتبه لتلك الأسياخ الحديدية الغليظة التي تتساقط من السماء في الوضع  
العمودي كالحراب الحادة القاتلة قاصدةً أم رأسه.

\*\*\*\*\*

## سقوط السماء

لم تكد تلك السيارة تتوقف بجوار الرصيف المقابل لنادي الجزيرة في هذا المساء حتى أسرع سائقها بمغادرتها والدوران حول مقدمتها، ثم قام بفتح باب السيارة للسيدة هيفاء القدّ التي كانت تستقلها وهو يقول لها بذوقٍ رفيعٍ بانحناءٍ خفيفةٍ:

- تفضلي بالنزول يا إيناس هانم.

فنظرتُ بوجهها المليح في المرأة الداخلية للسيارة لبرهةٍ لتتأكد من تمام هندامها وزينتها، ثم حملتُ حقيبة يدها وأبرزتُ ساقها البضة من باب السيارة وهبطتُ برشاقةٍ ونسماتُ الهواء تداعبُ خصلات شعرها الكستنائي وهي تقول له بامتنانٍ:

- شكرًا يا عاصم يمكنك الانصراف الآن، ولكن لا تنس أن تعود إلى هنا بعد ساعتين من هذه اللحظة.

ثم فكرت برهةً واستدركت قائلةً:

- أو أقول لك؟ لا تُعد مرةً أخرى، وأنا سأعود مع صديقتي في سيارتها عند الانتهاء من قضاء سهرتنا في النادي.

أجابها عاصم وهو يستدير للولوج إلى السيارة قائلاً:

- أمرك يا هانم، كما تشائين، وفي خدمتك دائماً.

قال عبارته ثم انطلق بالسيارة لا يلوي على شيء، فالتقطت نفساً عميقاً من نسيم الليل العليل وزفرته بحرارة ثم سارت بخصرها الميَّاس بخطى متتدةٍ تجاه بوابة النادي العريق، ودلفت إليه بثقةٍ دون أن تبرز هويتها لرجل الأمن وبدت للمتابع أنها ذات شأنٍ عظيمٍ أو عضو بارزٌ في النادي الذي عَجَّ بأعضائه في ذلك التوقيت المسائي للاستمتاع بليلةٍ صيفٍ بديعةٍ، أو هكذا تمنَّوها في تلك اللحظات.

وجالت ببصرها في وجوه أعضاء النادي وهي تتلفتُ يميناً ويساراً حتى توقفتُ عينها صوب وجهٍ نسائيٍّ باسمٍ مكتنزٍ، كانت في تلك الأثناء تلوح لها بيدها فأشارت إليها بسبابتها لتأكيد رؤيتها ومضت لتنضم إليها في كافيهِ

النادي وصافحتها بحرارةٍ ثم جلستُ على مقعدٍ قريبٍ ووضعتُ حقيبتها على المنضدة المستديرة أمامها وأشارت صديقتها إلى نادل الكافيه لجلب مشروبين مثلجَيْنَ لهما فأسرع بإحضارهما في الحال وهي تقول لها بعتابٍ رقيقٍ:

- أهلاً بصديقتي المتقلبة كنوائب الدهر، تارةً أقابلك يومياً وتارةً أخرى لا أراك شهوراً عديدةً!

قالت لها إيناس بصوتٍ يمتزج بالمرارة:

- والله يا معالي، أنا في تلك الأيام أعاني الأمرين مما أعاصره من أحداثٍ، فاعذريني إن كنت قد انشغلتُ عنك لبعض الوقت، ولكن الآن أحتاجك بجواري وأتوق لمشورتك وإسداك لي النصيحة بشدةٍ.

في تلك اللحظة، جاء النادل بكوبٍ عصيرٍ مثلجَيْنَ ثم وضعهما على المنضدة وانصرف لحال سبيله فقامتُ معالي برفع كوب العصير، وقدمته إلى صديقتها فأحجمت عن أخذه بإشارةٍ اعتذارٍ من كفيها البضة، فنظرتُ إليها معالي بنظرةٍ مُشفقةٍ وهي تقول لها بحيرةٍ:

- ما الذي أصابك يا إيناس؟ أنتِ التي كانت الابتسامة لا تفارق شفاهك أصبحتِ هكذا بين يومٍ وليلةٍ يعتريك كل هذا الحزن والشقاء، هل لمختار

ناجي علاقةً بما يحدث؟!!

أجابتها إيناس وهي تفرك كفيها بتوترٍ ودمعها في مقلتيها وهي تغمغم  
بحزنٍ مريرٍ:

- أجل يا معالي، بالفعل مختار هو سبب مأساتي في الآونة الأخيرة، لم  
يعد كما عهدته يوم جمع الحب بين قلوبنا وتزوجنا لننعم سوياً بأجمل أيام  
عمرنا ونحيا لحظاتٍ لا تُنسى أبداً بمنتهى السعادة والهناء.

ترقرقت عيناها بالدموع في تلك اللحظة، فأسرعت صديقتها بجلب علبه  
مناديلٍ ورقيةٍ من حقيبتها وانتزعتُ أحدها وقدمته لها فأخذته تجفّف به  
دموعها وهي تستطرد باضطرابٍ شديدٍ:

- فجأةً، لم يعدُ كسابق عهده، لم يعد ذلك الرجل الرومانسيّ الحنون الذي  
كان يخاف عليّ حتى من نسمة الهواء الطائر، بل على النقيض تماماً؛ أصبح  
فظاً غليظ القلب، لم يعد يعيرني أدنى اهتمام، ولا يعبأ بمشاعري، ولا  
بكوني أنثى تحتاج وجوده بجوارها في كل لحظةٍ من حياتها!

ربّنتُ معالي على يدها مُحاولَةً أن تهدئ من روعها وهي تقول لها بقلبي:  
- هو أمرٌ محيرٌ فعلاً! ولكن من المؤكد أنّ هناك من الأسباب ما جعلته يتغير  
حيالك بهذه الصورة المقيتة، فهل حدث شيءٌ مؤخراً عكّر صفو حياتكما

لهذه الدرجة؟!

زفرت بحرارةٍ ثم تنهدتُ بعمقٍ وارتجفت شفتها وهي تجيب:

- حقيقةً لا أعلم السبب المباشر لهذا التحول في مشاعره تجاهي، ربّما يكون قد نفذ صبره بعد أن فقد الأمل نهائيًا في أن يصبح أبًا يومًا ما، لو ظلّت زوجته الوحيدة، أو...

صمتتُ برهةً لتزدرد لعابها بصعوبةٍ قبل أن تلقي بهواجسها ومخاوفها على مسامع صديقتها مغممةً برهبةٍ:

- أو يكون ملّ الحياة بقربي، ووجد ضالته في حياةٍ جديدةٍ بزوجةٍ أخرى تنجب له الولد الذي يحلم به لينجبه ويورثه كل هذه الإمبراطورية الهائلة. هزّت معالي كتفيها ثم قالت بتعاطفٍ مُشفقٍ:

- ولكنك لم تخبريني من قبل أنه كان يبغي الولد بكلّ هذه اللهفة ويصارعك بذلك جهراً في كلِّ آنٍ وحين!

فركتُ إيناس كفيها ثم طرفعتُ أصابعها وقالت بخفوتٍ:

- في الحقيقة هو لم يصرّح لي بهذه الرغبة مطلقاً، ولكنني كنتُ أشعر بها في كلِّ حركاته وسكناته، ومن حديثه المتواصل عن ثروته التي كوّنّها



بعصامية تامةٍ ولا يعرف لمن ستؤول في النهاية بعد وفاته!

قالتُ لها معالي بحزمٍ:

- هذا الأمر يحتاج إلى مواجهةٍ مباشرةٍ بينك وبين مختار لقطع الشك باليقين بوضع النقط على الحروف تجاه مستقبلكما سوياً، فلا يمكن التغاضي وغيض الطرف عما يحدث منه تجاهك، فالمواجهة بطريق الخط المستقيم هي أقرب الطرق في تلك الحالة للوصول للهدف مباشرةً.

حكّتُ إيناس جبهتها بأناملها برفقٍ وهي تقطب جبينها بتفكيرٍ عميقٍ مُتمتمةً بتساؤلٍ حائرٍ:

- المواجهة المباشرة بكل ما أشعر به، أهذا رأيك الأخير يا صديقتي؟

أجابتها معالي وهي تقلّب كفّها وتميل عليها وهي تحملق في عينيها، وتضيف لتساؤلها الحائر علامة استفهامٍ جديدةٍ قائلّةً:

- أهنالك طريقٌ آخر تسلكينه غير هذا الطريق يا عزيزتي الحائرة؟!!

فتحلّي بالشجاعة يا صاحبة برج العقرب واتخذي تلك الخطوة الحاسمة.

ضربتُ إيناس كفّاً بكفٍّ وهي تتنهد بعمقٍ قائلّةً بحزمٍ:

- أجل، صدقت! هي المواجهة ولا بديل عنها، وفي أقرب فرصة سأواجه

مختاراً بما يجيش به صدري وليكن ما يكون، حتى لو أدى ذلك إلى فصل الختام بيني وبينه.

وكان هذا إيذاناً بمواجهةٍ مُرتقبةٍ ربما تكون بداية النهاية لمشوار زواجها، فقالت عبارتها الأخيرة كأنها قرأت لوح الغيب المسطور.

\*\*\*\*\*

تخلَّت الحزمة الهائلة من حديد التسليح عن هوك الونش، ثم تبعثرت على مساحةٍ واسعةٍ وهي تهوي من السماء من ذلك الارتفاع الشاهق لتسقط عموديةً على هيئة حرابٍ قاتلةٍ تحمل في نصلها الموت لكلِّ مَنْ يعترض طريقها لترتطم بالأرض بقوةٍ وعنْفٍ مخلِّفةً دويًّا هائلاً بلغ عنان السماء بسحابةٍ غبارٍ كثيفةٍ، تكشَّفت رويداً رويداً عن دماءٍ وأشلاءٍ بشريةٍ تناثرت ببشاعةٍ مقززةٍ في مركز دائرة سقوط الأسيخ الحديدية مباشرةً، ولم يكد الارتجاج العنيف للونش يهدأ تدريجياً، الذي كاد من شدَّته يطيح به هو الآخر حتى تنفس سائقه الصعداء في كابينة التحكم ثم التقط هاتفه الخليوي ووضعه على أذنه ليسترسل في حديثه مع مختار ناجي الذي هتف به بظفرٍ:

- لقد تم إنجاز المهمة بنجاحٍ ساحقٍ يا مختار بيه، وبالطبع لن تبخل عليّ بمكافأتي التي وعدتني بها؟

أجابته صيحةٌ حماسيةٌ من مختار وهو يهتف به بحبورٍ:

- أحسنتَ صنعًا يا رجل، وبالفعل أنت تستحق عن جدارةٍ مكافأةً عظيمةً جزاء ما صنعتَ ولكن...

صمتَ هنيهةً من الوقت ثم قال بحذرٍ:

- ولكن أهنك تأكيدٌ بصريٌّ على أن هذا الشيطان قد لقي حتفه بالفعل؟ أم هي مجرد تكهناتٍ لا تستند إلى رؤيةٍ بصريةٍ واضحةٍ؟  
قال له السائق بثقةٍ:

- وهل من المعقول أن ينجو مخلوقٌ حيٌّ من طنِّي حديدٍ تسليحٍ ألقى بهما على رأسه من السماء!

قال له مختار بقلقٍ:

- بالطبع من رابع المستحيلات أن ينجو من فخٍّ قاتلٍ كهذا، ولكن ماذا لو أن ردَّ فعله كان سريعًا لدرجةٍ مكنته من تجاوز ذلك السقوط؟! كما فعلها من قبل أمام مبنى الشركة؟ ولو أن أحدًا أخبرني بردَّ فعله السريع الذي أنجاه

من اصطدام السيارة به ما صدقته، ولكنني رأيتُ ما حدث بأمّ عيني، ولا زلتُ مدهولاً بما حدث حتى هذه اللحظة.

ارتبك السائق لما يسمع وأخذ يحدّق من مكانه في كومة أسياخ حديد التسليح التي تجمّعت في قلب دائرة السقوط وخفتُ تدريجياً حتى محيطها وأيقن في قرارة نفسه أنّ هذا الرجل حتى لو كان ساحراً لما تمكّن من النجاة من ذلك الفخّ القاتل، وانتفض من تصوّره على ذلك اليقين ثم هتف بحزم:

- أكاد أجزم بيقين تامّ أنّ ذلك الشيطان قد ذهب إلى غياهب الجحيم بتذكرة ذهابٍ دون عودة، و...

قاطعه مختار بصرامة:

- لا يُجدي الجزم وأنت تتحدث من أعلى، دون رؤيةٍ واضحةٍ عن قرب، هيا اهبط إلى الأسفل واستوضح الأمر بإزالة الأسياخ الحديدية عن مركز السقوط، وانتظرٌ وصولي سريعاً للتأكد شخصياً من نهاية هذا الشيطان .

أجابه السائق بخضوع:

- كما تأمر يا سيدي، ريثما تأتي إلى هنا أكون قد هبأت لك مسرح الأحداث لرؤيةٍ أوضح، لترى أنني حققتُ الهدف المنشود بنجاحٍ ساحقٍ.

قال عبارته ثم أسرع بمغادرة كابينة التحكم، وهبط على درج البرج الحديدي إلى أرضية الحدث الخاوية من العمال والمهندسين في تلك الساعة، لانصرافهم بعد انقضاء مواعيد العمل الرسمية، ولهذا السبب تشجّع رئيسه وأوكل إليه تنفيذ تلك المهمة بعيداً عن أعين الجميع، وقد أداها بنجاح تام -حسبما يعتقد- وهو في طريقه للاستطلاع وتبيين الأمر عن قرب، والتأكد من النتائج التي ظهرت بوادرها وهو يخطو خطواته الأولى على أرض الأحداث، لتطالعه تلك الدماء والأشلاء البشرية الواضحة على حديد التسليح، ودون تردّدٍ أسرع باعتلاء لودر شيول ضخّم من طراز كاتر بيلر قام على الفور بتشغيله ووجهه صوب كومة حديد التسليح وأخذ في رفعها وإخلاء مركز الحدث بجاروف اللودر وبجلدٍ يُحسد عليه.

وفي الوقت نفسه كان مختار ناجي يستقلُّ سيارته في الطريق إليه وعقله يشتعل بأفكار شتى، بدايةً من خطته التي كانت تعتمد على إخفاء سيارة المقدم طاهر من النقطة التي تركها فيها لتشتيت انتباهه ولإبعاد الشبهة عنه في حالة التخلص منه لأنّه في هذه الحالة ستكون سيارته أمام مقرّ عمله، وهذا سببٌ كافٍ ومبررٌ للتصل من قدومه إليه ولكنه بذكاءٍ متقدِّم تجاوز مفاجأة اختفاء سيارته وبراعةٍ ومهارةٍ مدهشةٍ ارتقى متعلقاً بفرع الشجرة أعلى السيارة المسرعة في اللحظة الأخيرة قبل اصطدامها به وسحقه و...

توقفت أفكاره بغتةً عند رؤيته لتلك الأشلاء البشرية المسحوقة بالفعل على جانب الطريق بجوار ذلك المطبّ الصناعي فضغط كابح سيارته بقوةٍ وهبط منها مسرعاً وأخذ يفحص حطام الطائرة الهيلوكوبتر ووجهه يحتقن غضباً مما يراه من حطام تحمل في طياتها بصمة الموت لأشلاءٍ بشريةٍ مسحوقةٍ لحارسه الشخصي إدوارد وقائد الهيلوكوبتر، فضمّ قبضة يمينه وهوى بها على كف يسراه وصاح بحنقٍ:

- اللعنة، ما هذا بحقّ الجحيم! حتى إدوارد لم يسلم منك أيها الشيطان، أقسم أن أمثل بجثتك شرّ تمثيل، ولو لم تكن الأسياخ فعلت بك ذلك لفعلت أنا وزيادة.

قالها ثم دلف إلى سيارته والغضب يعتريه من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه وانطلق باتجاه خزان المياه العالي المسؤولة شركة المقاولات التابعة لمؤسسته الاقتصادية بتنفيذ إنشائه.

ولم يكد يصل إليه حتى وجد السائق وقد أخلى النقطة المراد إخلاؤها، وهدأ من روعه قليلاً وهو يفحص المكان جيداً، وانحنى يفحص تلك الجثة التي ظهرت تحت الأسياخ الحديدية المرفوعة وتحولت إلى أشلاء متناثرة في مشهدٍ مقزّرٍ ثم اعتدل وقال للسائق بصرامةٍ:

- يا للشيطان!! أين ذهبت الجثة الأخرى يا رجل؟

أجابه السائق باضطراب:

- هذه هي الجثة الوحيدة التي عثرتُ عليها ولم تكن هناك جثةٌ غيرها!

قال له مختار بغضب:

- كيف ذلك؟ هذه الجثة المطعونة تخصّ السائق الذي كان يطارد ذلك

الشيطان، فأين ذهبت جثته إن كنتَ تؤكدُ أنه لم ينجُ؟!

لوح السائق بيده وهو يجيب بحيرةٍ حقيقية:

- حقًا لستُ أدري يا مختار بيه! ولكنني متأكدٌ يقينًا من أن هذا الرجل لم

يغادر منطقة سقوط الأسياخ الحديدية، بل إنني رأيته في لحظاته الأخيرة

وهو غير منتبهٍ حتى إنه لم ينظر إلى السماء عندما هَوَتِ الأسياخ على أمِّ

رأسه، ثم بعد ذلك أخفى انتشارها وبعثرتها جسده عن مجال رؤيتي.

جال مختار ببصره في منطقة السقوط وغلّف الصمت أرجاء المكان وهو

يتخيل نفسه في الموقف نفسه، فرأى بعين الخيال المقدم طاهر بعد أن

تخلص من سائق السيارة البورش، وعلى حسب رواية قائد الونش لم يرفع

بصره إلى السماء لذلك من المؤكد أنه علم بما يحدث بوسيلةٍ ما!

ألا وهي؟

حتماً المرأة الجانبية للسيارة البورش، التي كانت في وضعية تسمح له بذلك، ولكنه اصطدم بتساؤلٍ آخر، أين لاذ هذا الشيطان بالفرار؟!

وحامت الإجابة بتلايفٍ مُخِّه بسرعةٍ بأنه ليس هناك غيرها في تلك النقطة ملاذٌ سريعٌ و...

- ارفع حطام هذه السيارة بسرعةٍ يا رجل.

هتف مختار بالعبارة لسائق الونش بحزمٍ فأسرع هذا الأخير مرةً أخرى باعتلاء ونش شوكة كلارك هيوسترو قويٍّ، وقام برفع حطام السيارة بواسطة شوكتي الكلارك وألقاها جانباً ولم يكذب يفعل حتى ارتد مختار للخلف وشهق السائق بقوةٍ عندما طالعهم غرفة محابسٍ أرضيةٍ قيد التنفيذ كانت أسفل البورش وقال السائق بدهشةٍ:

- يا للعجب! ما هذا بحق الجحيم؟! أمِن الممكن أن تكون هذه الغرفة هي وسيلته للنجاة من هذا المأزق القاتل؟

اقترب مختار من غرفة المحابس وضاحت حدقتها ثم قال بغضبٍ عارم:

- تبّاً لك أيها الشيطان، كما خمنت بالضبط، لقد لمحت الأسيخ المتساقطة من السماء في مرآة السيارة الجانبية، فأسرعت بالانزلاق أسفل هذه السيارة،



ومن حسن طالعك وجدتَ هذه الغرفة المفتوحة فهبطتَ إليها وبواسطة  
المواسير التي قطرها الداخلي ألف وخمسمائة مليمتر، أي في مستوى  
ارتفاع رجلٍ متوسطِ القامة، فاتخذتَها وسيلةً للفرار من محيط المكان كله  
إلى غرفةٍ أخرى، ومن ثم غادرتَها لتنجو ببساطةٍ وبصدفةٍ مدهشةٍ لا تتكرر  
كثيراً.

ارتفع حاجبا السائق بدهشةٍ وهو يستمع إلى هذا التحليل الافتراضي لما  
حدث، وانبهر بالفعل من ردِّ فعل المقدم طاهر وصفي تجاه ما حدث وتمتم  
بتعجبٍ:

- لو كان ما تفوهتَ به واقعٌ حدث بالفعل فهذا الرجل مدهشٌ للغاية  
ومحفوظٌ جداً.

ثم استطرد وهو يهبط عن مقعد الكلارك إلى أرض المكان قائلاً بأسىٍ بالغٍ:  
- ومهارته في تجاوز هذا الخطر القاتل جعل مكافأتي تذهب أدراج الرياح،  
أليس كذلك يا مختار باشا؟!

حدجه مختار بنظرةٍ ثاقبةٍ وهو يزفر بعمقٍ وقال بغموضٍ شديدٍ بابتسامةٍ  
باردةٍ:

- لا... لا، ليس كذلك أبداً فمكافأتك لا تزال ساريةً وأنتَ تستحقها عن جدارةٍ

وستحوزها الآن ودون إبطاء لحظةً واحدةً.

قال عبارته وهو يستلُّ مسدسه من غمده بسرعة البرق ثم صوّب فوّهته إلى رأسه وهو يقول بمقتٍ:

- اذهب إلى الجحيم أيها القاتل الفاشل.

قرن القول بالفعل، وهو يضغط زناد مسدسه لتتطلق رصاصةً صامتةً باتجاه رأس السائق الذي اتسعت عيناه بذعرٍ هائلٍ وهو يقول برعبٍ:

- أهكذا أنال جزاء سنمار يا...

بتر عبارته بغتةً ثم هوى أرضاً وهو يلمح بعيونٍ زائغةٍ في لمحةٍ أخيرةٍ خاطفةٍ احتضار قرص الشمس في الأفق.

\*\*\*\*\*

عبر مسئول متابعة العملاء في الموساد الإسرائيلي ممرات المبنى بخطواتٍ نشطةٍ حتى وصل إلى حجرة مدير الجهاز، وأخبر سكرتيره بأنه يريد رؤيته على الفور وما هي إلا دقائق حتى دلف إلى حجرة المدير الذي استقبله وعلى وجهه تساؤلاتٌ عديدةٌ فابتدره قائلاً بحيرةٍ:

- ماذا هناك يا أدون إفرايم؟ ولماذا طلبتَ مقابلي على وجه السرعة؟

قال له إفرايم بتوترٍ:

- دان ليفي يا سيادة المدير!

أشار المدير إلى المقعد المقابل لمكتبه وهو يقول له بلهفةٍ:

- اجلس أولاً، ثم أخبرني ماذا حدث له؟

جلس إفرايم ثم فرك كفيه بقلقٍ واضحٍ وهو يقول:

- دان ليفي عميلنا في القاهرة، بعد أن أوشك على تنفيذ تلك العملية الفارقة في تاريخ الموساد، هناك من يسعى للإيقاع به بقوةٍ، وهناك حربٌ شعواءٌ تدور بينهم الآن، وهو كمحترفٍ سيقا تل حتى الرمق الأخير ولكن بفرض أن ذلك الخصم نجح في التغلب عليه، عندها ستكون كارثةٌ لا يمكن تحمُّلها.

التقى حاجبا المدير وهو يقول بارتباكٍ:

- هذا الأمر بالفعل في غاية الخطورة، ولكن ما هوية خصم دان يا ترى؟ هل تمكَّنتُم من تحديد جهة عمله؟

هز إفرايم رأسه وهو يجيبه بقلقٍ متصاعدٍ:

- بلى يا سيدي، اسمه طاهر وصفي. وهو يعمل في جهاز الأمن الوطني بمصر والخطورة في الأمر تزامن تلك الأحداث مع المحاكمة المرتقبة لعميلنا في القاهرة أكرم ناجي، والذي يهددنا في محاكمته بفضيحةٍ مدويةٍ على كل الأصعدة والمستويات وستتناقلها وكالات الأنباء لشهورٍ عديدةٍ وستصنمنا بالعار وأكالييل الفضيحة، ليس فقط لجهاز الموساد، بل لإسرائيل كلها.

انتقل قلقه إلى صوت المدير وهو يقول:

- لهذه الأسباب كان وجود دان في القاهرة ضروري حتى يمنع بكل الطرق والوسائل تلك الفضيحة المرتقبة، ولكن ما يحدث في هذه الآونة يُعدّ بالفعل حجر عثرةٍ ضخمةٍ في سبيل تحقيق الهدف المنشود من وجوده.

ارتفع في تلك اللحظة أزيز جهاز الاتصال الداخلي، فرفع المدير السماعه بسرعةٍ وهو يتساءل بحدةٍ:

- ماذا هناك يا موشيه؟!

جاءته الإجابة عبر أثير جهاز الاتصال بصوت سكرتيره وهو يقول:

- أدون إيزاك أهارون مسئول الشفرة يريد هو الآخر رؤيتك على وجه السرعة يا سيدي.

قال له المدير بحزم:

- دعه يدخل على الفور، لنرى ماذا يحمل في جعبته من أخبارٍ عاجلةٍ.  
دفع إيزاك باب الحجرة، ثم دلف إليها وهو في عجلةٍ من أمره تسبقه يده  
حاملةً ورقةً قدمها للمدير وهو يقول بأنفاسٍ لاهتةً:  
- برقيةٌ شفرةٌ عاجلةٌ وهامةٌ للغاية، وردتنا للتو من القاهرة يا سيادة المدير،  
لم أكد أنتهي من فك شفرتها حتى جئت بها إليك.  
اختطف المدير البرقية بلهفةٍ ثم أشار إليه بالانصراف، فغادر المكتب لا  
يلوي على شيءٍ، ولم يكذُ المدير يطالع تلك البرقية الهامة حتى تراجع  
بظهره إلى مسند مقعده بحركةٍ حادةٍ جعلتُ إفرايم يصيبه الارتباك وهو  
يتساءل بتوترٍ:

- ما الذي تحمله هذه البرقية بالضببط يا سيدي!؟

أجابه المدير وهو يزدرد لعابه بصعوبةٍ قائلاً بعصبيةٍ بالغةٍ:

- هذه البرقية تحمل كارثةً بكلِّ المقاييس يا أدون إفرايم.

وزفر بحرارةٍ وهو يقول بغضبٍ مُستطردًا:

- لقد نسف هذا الرجل طاهر وصفي طائرة هليكوبتر كان يستقلها عميلنا

دان ليفي فتحول في غمضة عينٍ إلى فتاتٍ متناثرٍ!

ارتجفتُ شفتا إفرايم وهو يقول بحنقٍ:

- يا لسوء حظهِ العاثر، فهو عميلٌ مثاليٌّ وحيويٌّ وفقدَهُ خسارةٌ فادحةٌ  
بالفعل لا يمكن تعويضها أبداً.

قال له المدير بعصبيةٍ:

- تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن يا عزيزي إفرايم ولكن...

صمت برهةً وهو يتنهد بعمقٍ ثم استطرد بتفكيرٍ عميقٍ:

- ولكن هناك خطٌّ دفاعٍ وورقةٌ رابحةٌ أخيرةٌ لا تزال على قيد الحياة، ويجب  
المحافظة عليها حتى آخر رمقٍ، لأنَّ ما ننتظره منها يوم المحاكمة كثيرٌ وهي  
على قدر المسؤولية وتعلم ذلك جيداً.

اتسعتُ ابتسامة إفرايم الخبيثة حتى شملت وجهه كله وهو يقول:

- صدقت يا سيدي، لا يزال في جعبتنا سلاحنا السريِّ وورقتنا الرابحة الأخيرة  
بالفعل، وهي تُعدُّ بحجم دولةٍ كاملةٍ ولا يمكن أن نسمح بانكشاف أمرها  
أبداً.

قال له المدير بابتسامةٍ باردةٍ:

- كلنا هذا الرجل يا أدون إفرایم.

وهنا، بالرغم من تلك البرقية المؤلمة والصادمة لهم وعلى عكس كل ردود الأفعال البشرية الطبيعية، انطلقت ضحكاتهم الخبيثة تدوي في فضاء حجرة المكتب حاملةً توقيع ذئبين إسرائيليين. ولكن، ليسوا أبدًا من بني البشر.

\*\*\*\*\*

## المُتلصص

اندهش الرائد حازم وهو يلّمح سيارة المقدم طاهر وصفي، وهو يهْمُّ بإيقاف سيارته في المكان المخصص لها في مرأب السيارات الخاص بمبنى جهاز الأمن الوطني، وكان مبعث دهشته هي السرعة التي عاد بها وكأنّ لقاءه مع مختار ناجي لم يستغرق سوى نصف ساعة فقط هو كلُّ الوقت الذي تفرّقا فيه؛ فهو ذهب بأمر النائب العام لتفتيش عوامة لؤلؤة النيل التي اختفتُ تمامًا بلا أثر، والمقدم طاهر ذهب للقاء مالك العوامة والمشتبه الأول في ضلوعه بمذبحةٍ رهيبَةٍ راح ضحيتها أبرياء كثيرون من بينهم صديق عمره طاهر وصفي.

ولم يَكْدُ يغادر سيارته حتى رنَّ هاتفه المحمول بنغمةٍ خاصّةٍ فأخرجه من



طيات ثيابه ونظر إلى شاشة الهاتف ثم وضعه على أذنه وهو يضغط زر  
الاتصال قائلاً بشغفٍ:

- صباح الخير يا سيادة المقدم، أنا أمام مبنى الجهاز الآن وما هي إلا بضع  
ثوانٍ وأكون...

قاطعهُ المقدم طاهر بصوتٍ واهٍ:

- تعال إليّ بسرعةٍ في مستشفى الشرطة بحيّ العجوزة، وأحضر لي معك  
قميصاً وسروالاً جديدين ولا تتأخر فأنا بانتظارك.

قال له الرائد حازم بجزعٍ:

- ماذا حدث لك يا سيدي؟ فسيارتك هنا في مرأب مبنى الجهاز وأنا تصورتُ  
أنك بداخله وكنْتُ في طريقي للصعود إليك.

أجابه المقدم طاهر بوهنٍ:

- آه... سيارتي عندك! هكذا الأمر إذن! هيا يا حازم تعال إليّ في الحال وأنا  
سأخبرك بكلُّ ما تريد معرفته.

قال عبارته ثم أنهى المكالمة لتنتاب كلُّ مشاعر الحيرة أعماقَ الرائد حازم  
وهو يقود سيارته ويخرج بها من المرأب مرةً أخرى في طريقه إلى بيت

أزياءٍ شهيرٍ ابتاع له منه ما يريد، ثم أكمل مسيرته إلى مستشفى الشرطة في الجيزة الكائن في شارع كورنيش النيل بالعجوزة وهناك أوقف سيارته في ساحة المستشفى ثم غادرها مسرعاً باتجاه موظفة الاستقبال الحسنة، وأسند مرفقيه على الكاونتر وبادرها متسائلاً بلهفة:

- أين أجد سيادة المقدم طاهر وصفي يا مدموازيل؟ وما هي حالته الصحية بالضبط؟

أجابته موظفة الاستقبال وهي تحرك ماوس جهاز الكمبيوتر الموضوع أمامها على الكاونتر وتتنظر في شاشته بتركيزٍ شديدٍ وعلى محياها ارتسمت ابتسامة هادئة وقالت:

- السيد طاهر جاء إلى هنا، وكانت حالته سيئةً للغاية إثر طعنةٍ غائرةٍ في كتفه الأيسر، وقد خرج للتو من غرفة الجراحة الدقيقة بعد إجراء جراحةٍ عاجلةٍ لإصابته البالغة، وستجده الآن يرقد في قسم العناية الفائقة و...

لم ينتظر الرائد حازم سماع باقي حديثها، وهو يسرع باتجاه المصعد الذي عرج به إلى قسم العناية الفائقة ثم دلف إليه بخطواتٍ واسعةٍ باتجاه فراش المقدم طاهر الذي لم يكذب يلمحه حتى نهض من فراشه قائلاً:

- شكرًا جزيلاً يا حازم، على سرعة تلبية طلبي، الذي لم أشأ إخبار زوجتي به

حتى لا تنزعج مما أصابني.

قدّم له الرائد حازم لفافة الملابس الجديدة وهو يقول له بجزعٍ:

- لا شكر على واجب، حمدًا لله على نجاتك يا سيادة المقدم، من الواضح

أنك عانيت الأهوال في ذلك اللقاء السريع مع مختار ناجي!؟

اختطف منه لفافة الملابس، ثم فضّها بسرعةٍ وأخرج منها السروال والقميص

ثم نزع الزيّ الأبيض الخاصّ بالمستشفى عن جسده وارتابهم، وهو يقول

بابتسامةٍ واهنةٍ:

- لقد كان لقاءً عاصفًا بحقٍّ، رأيتُ فيه الموت أكثر من مرةٍ ونجوتُ منه

بإعجوبةٍ.

ثم قصّ على مسامعه ما حدث له منذ أن افترقا وحتى وصوله لمستشفى

الشرطة ومع كلِّ كلمةٍ كان حاجبيّ الرائد حازم يرتفعان بشدةٍ حتى كادا

يمتزجان بشعر رأسه ولما فرغ من روايته، قال بدهشةٍ بالغةٍ:

- رحماك يا إلهي! كلُّ هذه الأهوال عاصرتها، حمدًا لله بالفعل الذي أنجأك

منها يا سيدي.

التقط المقدم طاهر حذاءه من جوار الفراش وهمّ أن يرتديه وهو يقول له

بلهفة متسائلاً:

- أخبرني ماذا وجدت في عوامة لؤلؤة النيل، عندما ذهبت إليها لتفتيشها  
بأمر النائب العام؟

أجابه وهو يطرق أصابعه بتوتر:

- لن تصدقَ ماذا وجدت عند ذهابي لتفتيش العوامة، لقد وجدتُ بانتظاري  
مفاجأةً مذهلةً بالفعل!

ثم ازدرد لعابه قبل أن يردف بأسى:

- هل تصدِّقُ أنني لم أجد العوامة من الأساس وكأنها تبخرتُ أو انشقتُ مياه  
النيل وابتلعتها في جوفها بلا أثرٍ!

دسَّ يده في جيبه وأخرجها حاملةً العملة المعدنية وهو يستطرد قائلاً:

- هذه العملة هي الشيء الوحيد الذي خرجت به من تلك المأمورية الفاشلة  
وقد وجدتُها على رصيف الكورنيش المواجهة للعوامة تحديداً.

التقط المقدم طاهر منه العملة المعدنية وحدقَ فيها ثم قال بحزم:

- هذا الشيكل الإسرائيلي يؤكدُ أن هناك ثمة أيادٍ خفية إسرائيلية تعبث  
بأمن الوطن يا حازم، ولا بدَّ لنا من بترها بكلِّ قوةٍ وحزمٍ.

ثم التقط نفساً عميقاً زفره بحرارةٍ وهو يعتدل منتصباً ويستطرد بحسمٍ:  
- وهذا الأمر لا يتسنى لنا إلا بالحصول على المعلومات التي سأكلفك  
بجمعها عن مختار ناجي هذا، أريدك أن تنبش في ماضيه وتعرف لي تاريخه  
منذ بداية مولده، لا تترك وارداً ولا شاردةً إلا وتعلمها عنه وعن كل ما  
يتعلق به.

فرك كفيه ثم عقد حاجبيه بتفكيرٍ عميقٍ وهو يردف:

- أما أنا فلي مهمةٌ أخرى الليلة في مكتب مختار ناجي الذي سأذهب إليه  
وأقوم بزرع أجهزة تنصتٍ فيه، وربما آنذاك أتمكن من الحصول على ما  
يدينه في تلك القضية التي نحن بصدها الآن.

قال له الرائد حازم بقلق:

- ولكنك سيدي، خرجت للتو من جراحةٍ تحتاج إلى بعض الوقت حتى  
تتعافى منها، فلماذا السرعة في جلب الصراع بيدك في هذه المرحلة  
الحرجة للغاية!؟

أشار المقدم طاهر بسبابته إلى صدره وهو يتنهد بعمقٍ قائلاً بحزم:

- لو انتظرتُ ثانيةً إضافيةً سيتمكن هذا الرجل من إعادة ترتيب أوراقه وربما  
يبادرنا عندئذٍ بالهجوم، وما أفعله الآن هو الهجوم الذي هو خير وسيلةٍ

للدفاع.

قال عبارته وهو يعي كلَّ حرفٍ فيها، عندها أُسقط في يد الرائد حازم بهذا الرد.

وفي أعماقه كان هناك خوفٌ مبهمٌ من المرحلة القادمة من الصراع القاتل.

\*\*\*\*\*

(وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) (الإسراء ٣٣)

انسابت هذه الكلمات النورانية بصوتٍ رخيمٍ يقطر عذوبةً فياضةً، ينبع من صيوانٍ ضخمةٍ مهيبٍ، لتبلغ مسامع المقدم طاهرٍ وصفي وهو يستعد ليدلف إلى ذلك المبنى السكنيِّ تحت الإنشاء فتسمَّر في مكانه وشعر بخشوعٍ ينتابه وبقشعريرةٍ حاميةٍ تسري في جلدِه لتزلزل كيانه كله وبلا وعيٍ، وجد عينيه تذرف دموعًا حارةً من فرط شعوره بأنَّ هذه الكلمات قد مسَّت شغاف قلبه لتخاطبه على وجه الخصوص، فغمغم وهو يتنهد بصوتٍ متهدِّجٍ بمشاعر الخشوع الجياشة:

- صدق الله العظيم، هذا كلام ربي حقٌ.

ثم ملك رباط جأشه بصعوبةٍ، وهو يرتقي درج المبنى برشاقة الفهد حتى بلغ سطحه على ارتفاع خمسةٍ وعشرين طابقاً وهناك تنفس الصعداء وصدره يعلو ويهبط من جراء المجهود الذي بذله في عملية الصعود.

ودار بعينه في أرجاء السطح حتى اختار بقعةً مُميّزةً في ذلك الظلام الدامس الذي لا ينيه مُحاق القمر ثم أزاح عن كتفيه تلك الحقيبة الجلدية التي تشبه إلى حدٍّ كبيرٍ حقيبة الجيتار الموسيقي، ولكنها أصغر قليلاً وفتحها ليُخرج منها كشافاً ضوئياً صغيراً أضاءه ليتبين ما يصنع ثم ارتدى قفازين، وهو يُخرج من الحقيبة لفتين من الحبال الديناميكية الرفيعة التي تُستخدم في تسلُّق الجبال، والمصنوعة من أليافٍ صناعيةٍ تتميز بمقاومة الشدِّ والمرونة، ثم أخرج من تجويفٍ خاصٍّ بالحقيبة بندقيةَ قوسٍ ونشابٍ ثبَّت في مُقدِّمتها سهمًا صلبًا صغيراً حادَّ النصل بعد عَقْدٍ أحد لَفَتِي الحبال فيه، ثم على سور السطح ثبَّت بندقيته بعد أن حدَّد هدفه بزاويةٍ مُنفرجةٍ لأعلى، وضغط الزناد بدقَّةٍ بالغةٍ لينطلق السهم مخترقاً الهواء قاصداً حائط شرفة الطابق الثلاثين من المبنى المقابل.

وبالفعل غاص السهم تماماً في الحائط المراد، ثم بعد ذلك ألقى ما تبقى

من لفة الحبل في الهواء لتعبر الشارع الكبير ثم تستقر على واجهة المبنى وتتدلى حتى شرفة الطابق العشرين الذي أطلق على جدار شرفته سهماً آخر نجح كقرينه السابق في بلوغ غايته ثم طوّق ببداية هذا الحبل عموداً خرسائياً بارزاً على سطح المبنى وعقده جيداً، ثم أخرج من حقيبته خطافاً صغيراً يشبه هوك الونش ولكنه أدق كثيراً، وعلّقه بهذا الحبل بعد أن عَقَدَ فيه حبلاً من النوع نفسه يناهز المترين طولاً عقد نصفهم على خصره.

ثم بجرأةٍ مدهشةٍ وثبَّ من أعلى السطح على هذا الحال لينزلق جسده بانسيابيةٍ مدهشةٍ بهذه الزاوية الحادة لأسفل، في المسار المحدّد مسبقاً بالحبل المثبّت في الاتجاه الآخر وتجاوز الشارع الكبير حتى انتهى به المطاف إلى شرفة الطابق العشرين، فوثب إليها بمرونةٍ وهدوءٍ شديدين أزره في ذلك حداؤه ذو الماركة الرياضية الشهيرة.

وبنشاطٍ جمٍّ انتزع السهم من قلب حائط شرفة الطابق ثم قبض عليه بقبضته جيداً بعد أن أخرج الخطاف من الحبل المتّصل به ثم أخرج من جيبه جهازاً صغيراً في حجم قبضة اليد ثبّته في الخطاف المتّصل بخصره، ثم دسّ طرف الحبل المنزلق من الطابق الثلاثين في إحدى فتحتي الجهاز، ثم ضغط ذلك الزر الأخضر في الجهاز فإذا بجسده يرتفع مع مسار الحبل الذي نهبه والتهمه ذلك الجهاز الرافع التهاماً كآلة البلانكو الرافعة، وهو



يخرج طرفه من الفتحة الأخرى بالجهاز أوتوماتيكياً رافعاً معه الحبل المثبت في عمود المبنى المقابل، حتى وصل به في نهاية المطاف إلى حاجز شرفة الطابق الثلاثين حيث حجرة مكتب غريمه اللدود مختار ناجي.

وهناك ضغط الزر الأحمر بالجهاز ليتوقف تماماً عن العمل، ثم وقف على إفريز الشرفة وجذب الحبل المتصل بالسهم ثم عقده في حاجزها الحديدي حتى أصبح كالوتر، وانتزع بعد ذلك الخطاف من الجهاز الرافع ثم طوّقه خصره بالمتر الباقي من الحبل ودسّ الخطاف في جيبه وهو يتعلق بحاجز الشرفة ثم تجاوزه إلى داخلها بقفزة ماهرة، وهناك تسمر في مكانه كتمثال من رخام وانتبهت حواسه ليتسنى له التأكد من أنّ أحداً لا يراقبه فجاوبه صمّت رهيبٌ يلفُّ أرجاء الطابق.

عندها أخرج من جيب بنطاله مطواته السويسرية متعددة الأسلحة وتمكّن بمهارةٍ بواسطة أحد أسلحتها من تجاوز باب الشرفة بعد أن أفسد رتاجه، ليُدلف بهدوءٍ وبخطى متندةٍ إلى داخل حجرة المكتب بعد أن أغلق الباب خلفه مُخلفاً صوتاً كالهمس، ولبرهةٍ حاولت عيناه أن تتكيف مع الظلام الدامس الذي تُذوب فيه الحجرة، وبهدوءٍ حذرٍ أخرج من جيب سترته الكشاف اليدوي الصغير وهمّ بأن يضغط زرّ إضاءته، عندئذٍ بلغت مسامعه هذه التصفيقة الحادة التي دوت كصوت البرق في أجواء الظلام والصمت

التأمين لتضيء على إثرها مصابيحٌ عديدةٌ في سقف الحجرة لتسطع كالبدر المنير في قلب الليل، تلبيةً لاستشعار ذبذبات تلك التصفيقة التي كان يقف خلفها مختار ناجي شخصياً، الذي انطلقت ضحكته الساخرة وهو ينهض من خلف مكتبه المجاور لباب الشرفة، ومصوباً مسدسه إلى صدر المقدم طاهر وقال بنبرة شماتةٍ واضحةٍ:

- مفاجأةٌ مذهلةٌ، أليس كذلك أيها المخاطر الجريء؟ لماذا تأخرتَ يا رجل؟! فأنا في انتظارك منذ زمنٍ، حتى إنني كدتُ أشكُّ في مجيئك إلى هنا.

كادتُ فكُّ المقدم طاهر السفلى تسقطُ من فرطِ ذهوله ولكنه كبها في اللحظة الأخيرة وهو يعقد حاجبيه وأجابه بهدوءٍ مثيرٍ وكأنَّ ما حدث لم يباغته على الإطلاق:

- وكيف يتسنّى لرجل أعمالٍ وسياسةٍ أن يفطن إلى عودتي مرةً أخرى إلى عرينه بهذه السرعة؟! دون أن يكون مُمتهنًا لمهنةٍ أخرى غير ما يدّعي!  
هزَّ مختار رأسه قائلاً:

- كمحترفٍ وسياسيٍّ مُحنكٍ في مجالي، أدركتُ أنك ستعود إلى هنا في غضون هذه الساعات كخطوةٍ استباقيةٍ لطرق الحديد وهو ساخنٌ، والحصول على ما يؤكد ظنونك الخاطئة بأنني قاتل شقيقك، ولو لم تجد بغيتك عندها

من الجائز أنك...

ثم ضاقتْ حدقتها وهو يستطرد:

- ستضع أجهزة تنصتٍ في أرجاء مكنتي للحصول مني مستقبلاً على مُرادك  
الذي جانبه الصواب، والذي هو في خيالك وحده، أليس كذلك أيها البطل  
الهمام؟!؟

أجابه بلهجة قاسية:

- أجل، هو كذلك بالضبط أيها القاتل الحقير.

تحوّلت ملامح مختار على النقيض، وأطلَّ غضبٌ مُخيفٌ من عينيه وهو  
يلوّح له بمسدسه قائلاً:

- هنا سأمتهن في تلك اللحظة مهنة القتل، لأقتلك جزاء اقتحامك لمكنتي  
كالصوص في قلب الليل، وليس كضابط أمنٍ واجبٍ عليه أن يحمي الشرفاء  
والمدنيين ممن يبغى عليهم.

أجابته ابتسامةً ساخرةً من شفطي المقدم طاهر وهو يغمغم:

- والمفترض أنك من زمرة الشرفاء الذين يحق لنا حمايتهم وممن نحميهم؟  
من أنفسهم؟!؟

أجابه مختار بصرامة:

- بل من أمثالك أيها المتلصص الآثم!

قَطَبَ المقدم طاهر جبينه وهو يقول باهتمام:

- أيهما أحقر متلصصٌ آثمٌ، أم إسرائيليُّ قاتلٌ؟!

بدا صوت مختار أكثر صرامةً وهو يلوّح بمسدسه في وجهه قائلاً:

- ماذا دهاك يا رجل؟! أنا المصريّ حتى النخاع ويشهد على ذلك تاريخي

الوطنيّ العريق، والآن تأتي بصفاقةٍ لتصفني بالإسرائيليّ القاتل!

ثم استطرد بلهجةٍ قاسيةٍ وهو يدنو منه حتى حال بينه وبين باب الشرفة،  
ومسدسه في قبضته:

- أم أنك أصدرتَ حكمًا فورياً على شقيقي أكرم، ووصمتني به دون الانتظار  
لنتيجة المحاكمة النهائية بعد غضون أيامٍ قليلةٍ قادمةٍ.

هزّ المقدم طاهر رأسه وهو يقول برييةً:

- شقيقك أمرٌ إدانته بأمر المحكمة في علم الغيب.

ثم دسَّ يده في جيبه وأخرجها حاملةً ذلك الشيكل ولوّح به في وجهه قائلاً  
بدهاءٍ شديدٍ:

- ولكنني أقصد صاحب هذا الشيكال الذي وُجد أمام عوامتك الخاصة لؤلؤة النيل التي فجأة لم يعد لها أدنى أثر!

توترت أعصاب مختار وحاول أن يبدو متماسكاً وهو يبدي دهشته متسائلاً:

- ما هذا الذي تقوله يا رجل؟! وهل اختفت لؤلؤة النيل بالفعل حقاً كما تدّعي؟!

قذف المقدم طاهر بالعملة في وجهه بحركة بدت عفوية وهو يجيبه قائلاً:

- التقط هذه العملة وهي تجيب عن سؤالك.

فمال مختار بوجهه ليتفادى ارتطام العملة به عندها تحرك المقدم طاهر وهو يركل مسدسه ليطير من قبضته بحدّة ويرتطم بجدار المكتب، ثم أودعه لكمة قوية في فكّه دارت لها رأس مختار قبل أن يفيق من تأثير المفاجأة وهو يضغط يبسراه زراً صغيراً على سطح مكتبه، ليدوي النفير العام في طوابق المبنى الثلاثين بصافرة إنذار مدوية، اقتحم على إثرها أربعة من رجال أمن المبنى حجرة المكتب شاهرين مسدساتهم القوية أمامهم وكأنهم كانوا ينتظرون تلك الإشارة خلف باب المكتب.

وسقط المقدم طاهر في الفخ، ورجال الأمن يطوقونه بانتظار إشارة واحدة من رئيسهم للإجهاز عليه نهائياً، وبالفعل استعاد مختار توازنه وهو يلتقط

مسدسه وأشار إليه وهو يقول لهم بوجهٍ مُكفَّهٍ وبلهجةٍ آمرةٍ:

- هيا أغمدوا أسلحتكم، و اسحقوا هذا المُتلصِّص الآثم، واجعلوه عبرةً لمن لا يعتبر، قبل قتله بلا رحمةٍ في نهاية المطاف.

بدا المقدم طاهر في تلك اللحظة الحرجة كبطلٍ مغوارٍ شديد الشكيمة، وهو يشدُّ قامته باعتدادٍ وينظر إليهم ويقول بثقةٍ:

- إذا لم يكن من الموت بدُّ فمن العار أن تموت جباناً.

انتبه جيداً لتحركاتهم حوله وهم يتأهبون لقتاله بأيديهم العارية قبل الإجهاز عليه، ثم التقط نفساً عميقاً وهو يستطرد بحزمٍ:

- ولكلِّ أجلٍ كتابٌ، ونهايتي لم تَحِنْ بعدُ أيها الأوغاد.

قالها وهو يقفز في الهواء كالإعصار المُدمر لترتفع قدمه بركلةٍ عنيفةٍ في صدر أحدهم، تراجع لها خطوةً للخلف ثم سقط أرضاً ليلحق به رفيقه الذي فقد صفَّ أسنانه الأمامي ليمتلئ فمه بالدماء إثر ركلةٍ ساحقةٍ في فكّه بالقدم الأخرى وهبط على الأرض بعد أن طَوَّح قبضته في وجه ثالثهم شَجَّتْ جبهته لتسيل دماؤه الحارّة على عينيه فتحجب عنه الرؤية فلا يري رفيقه الرابع وهو يسقط تحت قدميه بعد إصابته بركلةٍ موجعةٍ بين فخذه أطلق لها آهاتٍ ألمٍ مكتومةٍ آزَّرتْها صرخةٌ انطلقت من فم مختار، ووجهه

يحتقن من بالغ غضبه لما آل إليه حال رجاله الذين صرخ فيهم بحنق:

- اللعنة! كيف يفعل بكم رجلٌ واحدٌ كلَّ هذا الهوان؟!!

ثم قام بسحب أجزاءِ مسدسه الآلي الإيطالي من طراز بيريتا وهو يردف  
بوحشية:

- هيا يا رجال، شاركوني هذه اللحظة الحاسمة لتتكاتف سويًا حتى نكون  
كتيبة إعدامٍ ساحقةٍ في سبيل القضاء على هذا الشيطان، فنرسله إلى أعماق  
الجحيم.

وكأنَّ هذه العبارة كان لها مفعول السحر على أفئدة وأجساد رجاله؛ حتى  
إنَّهم لم يكادوا يسمعوها حتى انتفضوا من سقطاتهم وهبوا والحزم يملأ  
كيانهم بضرورة الخلاص من هذا الرجل الذي أذلَّ ناصيتهم وكرامتهم جميعًا  
فاستلوا مسدساتهم من أغمدتها وطوقوه مرةً أخرى ليجعلوه في مصيدةٍ  
تامةٍ،

وتأهبوا جميعًا لإفراغ رصاصاتهم في جسده ككتيبة إعدامٍ حُكمها نافذٌ.

وهنا، صمت الكلام وحلَّق ملك الموت لاقتناص المقدم طاهر وصفي كضحيةٍ  
جديدةٍ، ولكنه أبى الاستسلام لثقتنه بنصر الله، فهو وحده بيده مصيره لا  
بشرًا ضعافًا لا يملكون من أمرهم شيئًا، لهذا جاء ردُّ فعله فوق مستوى

التكهنات ومخالفاً كل التوقعات تماماً، لأنه في تلك اللحظة الحرجة

صَفَّق! (الكلمة صحيحة تماماً وليست خطأً مطبعياً على الإطلاق).

نعم صَفَّق بيديه تصفيقةً قويةً أطفأت على إثرها لمبات الإضاءة الاستشعارية في المكتب لتغرق الحجرة في ظلامٍ دامسٍ، وهنا تحركَ مُنحنيًا أرضًا ليتفادى أيةَ رصاصاتٍ تنطلقُ باتجاهه وهذا ما حدث بالفعل عندما أظلمت الحجرة وبتلقائيةٍ شديدةٍ ودون تفكيرٍ، أطلق رجال الأمن النار عليه في النقطة التي يفترضون تواجده فيها وهم في تلك اللحظة يطوِّقونه، وكان هذا خطأً فادحاً وقعوا فيه.

ربما لأنهم رجال أمنٍ غير محترفين وغير مؤهلين سوى لحراسة مبنى مدنيٍّ لهذا انطلقت رصاصاتهم من جهتين متقابلتين ليصيب كلاً منهم الآخر في مواضعٍ عشوائيةٍ شتى في البطون والسيقان لتتفجر دماؤهم غزيرةً تصاحبها صرخاتهم الرهيبة مما حدث.

وفي تلك الأثناء، أسرع مختار بالتصفيق مرةً أخرى لإعادة الأضواء إلى ما كانت عليه ولكن أجابته هذه المرة فرقةٌ مكتومةٌ صادرةٌ من مقبس الكهرباء نتيجة وضع المقدم طاهر سلاحين رفيعين مدببين من مطواته السويسرية في المقبس وهو يرتدي قفازيه العازلين اللذين حالا دون



إصابته بصدمةٍ كهربائيةٍ قد تودي بحياته، ليحدث تماسٌ كهربائيٌ نتيجة تلامس طرفي المقبس بواسطة سلاحِي المطواة، ليصرخ مختار مرةً أخرى والغضب المخيف يتقد في أعماقه حتى بدت عيناه محمرتان وحشيتان تشتعلان في الظلام وهو يهتف بحنقٍ:

- فليسرع أحدكم برفع مفتاح الأوتوماتيك من لوحة المفاتيح خلف باب الحجرة.

انتظر ردًا من أحدٍ، ولكن جاوبه أنين رجاله من جرّاء إصاباتهم الفادحة، فأسرع بنفسه لرفع ذلك المفتاح، وفي تلك اللحظة أضاءت شاشة هاتفه الجوال الذي كان يستقرّ على سطح مكتبه تصاحبها نغمة رسائلٍ مميزةٍ للغاية، التقطتها أذنه وهو يستعدّ لفتح لوحة مفاتيح الأوتوماتيك الخاصة بالحجرة، فانتفض بقوةٍ وهو يصيح فجأةً بتلقائيةٍ وجزعٍ:

\_لا..لا.. لاااااا... ليس في هذا التوقيت على الإطلاق تأتين أيتها الرسالة اللعينة!

من نبرة صوته الملتاعة شعر المقدم طاهر أنّ هذه الرسالة تحمل شيئًا خطيرًا للغاية فأسرع وبسرعة البرق واختطف الهاتف عن سطح المكتب قبل أن يندفع لافتحام الشرفة. وفي اللحظة نفسها صفق مختار بيده لتضيء الحجرة

كما كانت، وجنّ جنونه عندما لم يجد هاتفه على سطح المكتب، عندها ضغط زناد مسدسه الآلي لتنطلق الرصاصات صوب باب الشرفة فتحطّمه بعنفٍ وولجها بسرعةٍ ليرى المقدم طاهر وهو ينزلق لأسفل بواسطة الحبل المُمتدّ من الشرفة إلى العمود الخرساني في المبنى المقابل، وبغضبٍ بلغ مداه صوّب مسدسه مرةً أخرى على عقدة الحبل المعقودة في سور الشرفة وأطلق النار بغزارةٍ شديدةٍ وهو ينفجر صارخاً بمقتٍ:

- اذهب إلى قلب الجحيم المشتعل أيها الشيطان اللعين.

فأصابت رصاصاته عقدة الحبل فبتّرتّه ليترك سور الشرفة بسرعةٍ خاطفةٍ، وهنا مع سرعة الفعل حاول المقدم طاهر أن يقبض على الحبل بكلتا يديه، ولكنّ إصابة كتفه أبّت أن تؤيده وهي تننّ ألمًا في أنحاء جسده كلّ من جرّاء الصراع العنيف الذي خاضه داخل حجرة المكتب، ليجد نفسه يهوي من حالقٍ، من ذلك الارتفاع الشاهق، بلا مظلة هبوطٍ تقيّه وتُنجيه من صدمة السقوط المروّع، أملٌ أخيرٌ فقط تبادر إلى ذهنه فتشبّث به في تلك اللحظة الحرجة. كانت كلمات ربه الحقّة..

(إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا)

\*\*\*\*\*



## التوأم الثالث

حلَّ المساء على منطقة نزلة السمان، الواقعة في حيِّ الهرم، بمحافظة الجيزة، ليتدفَّق منها جموعٌ قليلةٌ من الخيول يمتطي صهوتها بعض الخيالة في طريقهم إلى منطقة الأهرامات السياحية ساعين على أقوات من يعولون، وجلب أرزاقهم التي كسدتُ كثيراً بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير عام ألفين وأحد عشر، والتي كانتُ بالفعل وبالأَّ ونقمةً عليهم، وذلك نظراً لقلة السائحين الذين أحجم معظمهم عن القدوم إلى مصر بسبب الانفلات والاضطراب الأمني الذي أصاب البلاد كلها في الصميم من أقصاها إلى أَدناها، فكسدتُ أعمالهم وتضرروا للغاية من جرَّاء تلك الثورة.

لذا لم يجدوا أمامهم آنذاك سوى القدوم على خوض غمار تلك الموقعة الشهيرة والمعروفة إعلامياً بموقعة الجمل ضد الثوار بميدان التحرير،

الذين تصوروا أنهم سببٌ مباشرٌ في انتكاسة أعمالهم ونشاطهم السياحيّ  
فجاء الردُّ بتلك الموقعة، التي كانت القشة التي قصمت ظهر البعير لنظامِ  
حكمٍ كاملٍ امتدتْ جذوره وتشعبتْ في قلب مصر لثلاثين عامًا كاملةً.

بدا التأثير واضحًا على ملامح وجوههم من تهجُّمٍ شديدٍ اعتراهم لسوء وضيقِ  
الحال، وللمستوى المتدني الذي وصلوا إليه في معيشتهم، حتى عندما  
استوقف الرائد حازم خيرى أحدهم وهو يشير إليه متسائلًا بهدوءٍ لطيفٍ:

- السلام عليك يا رجل، هل من الممكن أن ترشدني على مكان تواجد الحاج  
فواز ناجي في تلك اللحظة؟!

ردًّا عليه الخيال السلام بعصبيةٍ، وكأنَّ كتفيه مثقلَةٌ بحمل هموم الدنيا، ثم  
أردف مستوضحًا التساؤل بفتورٍ:

- هل تقصد الحاج فواز شاعر ناجي كبير خيالة نزلة السمان؟

أومأ له الرائد حازم برأسه إيجابًا وقال:

- أجل هو، فأين أجده الآن؟

أشار إليه الخيال بإشاراتٍ مبهمَةٍ وكأنَّ الارتباك قد مسَّه بدائه وهو يقول  
بخشونةٍ وبتأنُّفٍ شديدٍ ليس له مبررٌ سوى ما ينتابه:

- الحاج فواز ستجده الآن في إسطنبول الخيل الذي يملكه بوسط النزلة، والآن  
تركني لحال سبيلي، لأنّ الذي بداخلي يكفيني وزيادة.

قال عبارته وجذب عنان الجواد بحدّة وهو يلكره بكعبيه في بطنه بقوةٍ  
لينطلق به وهو يطلق صهيلًا حادًا قويًا وكأنّه يبدي اعتراضه على لهجة  
الحديث غير الذوقية، التي يخاطب بها فارسه السائل، وتركه هكذا فجأةً  
بعد بتر حديثه معه دون انتظار سماع كلمةٍ أخرى منه، والتمس له الرائد  
حازم العذر على ردوده الجافة وضرب كفاً بكفٍّ وهو يغمغم لنفسه بمرارةٍ:

- تَبًّا لِكُلِّ مَنْ سَعَى لِإِحْدَاثِ ذَلِكَ الْفِرَاقِ الْأَمْنِيِّ فِي الْبِلَادِ، الَّذِي بِسَبَبِهِ نَعَانِي  
الْأَمْرَيْنِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَصِيبَةِ.

قالها وهو يستقلُّ سيارته التي أوقفها على جانب الطريق ثم انطلق بها  
إلى قلب نزلة السمان حيث إسطنبول الخيل الخاص ببيغيته، وهناك وجده  
برغم شيبه شعره يدخن النارجيلة باستمتاعٍ وهو يتجاذب أطراف الحديث  
و يتسامر مع رفيقٍ شابٍّ جالسٍ على مقعدين برصيف الطريق أمام بوابة  
الإسطنبول، فضغط كبح سيارته وأوقفها بجوارهم ثم غادرها، وحلَّ على  
مجلسهم وصافحهم بابتسامةٍ بشوشةٍ قائلاً:

- السلام عليكم يا حاج فواز، كيف حالك مع الأيام يا رجل؟

صافحه بيدٍ واهيةٍ وأشار بالأخرى إلى الشاب لإحضار مقعدٍ له ونظر إليه بعينين شاحبتين كادتا تختفيان في وجهه المتعصن وقال له بريية:

- وعليك السلام يا ولدي، ولكن هل تعرّفتُ إليك من قبل؟ معذرةً فذاكرتي أصبحت ضعيفةً وهي تخونني في كثيرٍ من الأحيان!

جلس الرائد حازم على المقعد الذي أحضره له الشاب، ثم تنحح حتى يعطي لحديثه الأثر المنشود وهو يجيبه بهدوء:

- أنا الرائد حازم خيري، أعمل في جهةٍ أمّنيةٍ عليا، وفي الحقيقة هذه أول مرةٍ أتشرف فيها بمقابلتك يا حاج فواز، ولكنني استعلّمتُ عنك جيدا قبل قدومي إلى هنا، لسؤالك عن بعض التفاصيل التي حدثت منذ زمنٍ بعيدٍ لشقيقك المرحوم ناجي.

اعترى الارتباك وجه الحاج فواز بعد علمه بأنّ مُحدّثه يعمل في جهةٍ أمّنيةٍ، فأخرج مَبَسَمَ النارجيلة من فمه ثم سعل بحدّةٍ قبل أن يطوّق بأصابع مرتجفةٍ قارورة النارجيلة بالنبريج فيما يشبه الأنشطة، وضجّ عقله بالظنون السوداء ولكنه حاول أن يبدو متماسكاً وهو يشير إلى جليسه الشاب قائلاً له بخفوتٍ بلهجةٍ أمرّة:

- هيا بسرعة، اصنع شايّاً لضيفنا العزيز يا ضيف.

هب ضيف من مقعده ليجلب إليه ما أمره به وعلى وجهه هو الآخر قلق الدنيا، وقال بخضوعٍ:

- سمعاً وطاعةً يا حاج، ثوانٍ وأحضر لك ما تريد.

عندئذٍ استدار الحاج فواز بجسده صوب الرائد حازم، وهو يقول له باضطرابٍ:

- خيراً يا سيادة الضابط، ما الذي تريد معرفته مني بالضبط عن شقيقي

المرحوم؟

رقمه الرائد حازم بعينيه وعلى شفثيه ابتسامةً هادئةً حاول قدر استطاعته

أن يبثَّ إليه فيها الطمأنينة وقال بلطفٍ:

- خيراً إن شاء الله يا حاج فواز، اطمئن ولا تقلق فلو كان الأمر خطيراً

ورسمياً لكنت أنت الذي تشرفني بالحضور الآن في الجهاز الأمني لسؤالك

عنه، ولكن ما جئتك من أجله ودِّي للغاية ولا يحتاج منك كل هذا الارتباك،

كنت أودُّ فقط معرفة كافة التفاصيل عن حياة شقيقك ناجي -رحمه الله-

ومشواره في الحياة قبل وفاته.

هدأت هذه الكلمات المُطمئنة قليلاً من روع الحاج فواز وتنفس الصعداء

وهو يلتقط مبسم النارجيلة مرةً أخرى وحلَّ عقدة الخرطوم ثم أخذ نفساً

عميقاً تأجج له الفحم المشتعل أعلى نبات التبناك المحترق قبل أن يزفره



بحرارةٍ من فمه كمحرقة جثث

وبدا صوته أكثر هدوءًا وهو يحاول تحفيز ذاكرته لاسترجاع ما بها من ذكرياتٍ وضاعت حدقاته وهو يجيبه قائلاً:

- شقيقي المرحوم ناجي، لم يكن في حياته ثمة شيءٍ يُذكر قبل زواجه سوى أنه لم يكمل تعليمه الدراسيٍّ وخرج من المرحلة الإعدادية لضيق يد والدنا الراحل، عندها اضطرَّ أن يعمل خيالاً في منطقة الأهرامات كمعظم أقرانه الذين لم يكملوا تعليمهم من أبناء النزلة، ولأنَّ طبيعة عمله كانت تفرض عليه الاختلاط الدائم بالسائحين لذا فقد تعرَّف على سائحةٍ يونانيةٍ أُعجبتُ به ثم بعد ذلك عرضتُ عليه الزواج دون أن يكلفه ذلك الأمر شيئاً وكان اسمها إ.إ.إ. ننجي.....

تلعثم في الاسم ثم صمت برهةً ليتذكَّره وجاء في تلك اللحظة الشاب ضيف وهو يحمل كوبين من الشاي وضعهم أمامهم على المنضدة وهم بالانصراف فاستوقفه الحاج فواز وهو يسأله بحيرةٍ شديدة:

- هل تتذكر اسم زوجة شقيقي المرحوم ناجي اليونانية يا ضيف؟

أطرق ضيف رأسه أرضاً في تفكيرٍ لبرهةٍ من الوقت، ثم رفع عينيه و ضرب جبهته براحته بحماس وقال بظفرٍ:

- اسمها أنجيلا... أجل، أنجيلا ديمتريو.

فأنا أتذكر اسمها جيداً لأنه نفس اسم المطربة اليونانية التي غنّت الديو الشهير (بحبك أكثر) مع المطرب عمرو دياب.

أشار إليه بكوب الشاي مؤيداً قوله وهو يقول بثقة:

- لا فُضَّ فوك يا ضيف، كانت بالفعل اسمها أنجيل...

اتسعتْ حدقتنا الرائد حازم في هذه اللحظة وفغر فاه بدهشةٍ حتى كاد كوب الشاي يسقط من قبضته وهو يقول:

- عجباً فطبّقاً لما هو مدوّن في الأوراق الرسمية، فإنّ السيدة التي من المفترض أنها زوجة المرحوم ناجى جنسيتها مصرية، وهي الراحلة همت علي حسن وليست أبداً كما تدّعون!!

هزّ له الحاج فواز رأسه ثم ارتشف رشفةً من كوب الشاي قبل أن يقول:

- بلى يا ولدي، هذا صحيح، وكذلك ما قلّته لك، كلاهما يحالفه الصواب.

ثم أخذ نفساً أخيراً من نارجيلته قبل أن ينحّيها جانباً وهو يزفر ذلك الدخان الكثيف في الهواء صانعاً سحابةً ضبابيةً فوق رؤوسهم قبل أن يستطرد قائلاً:

- فزوجته الأولى كانت يونانية، والأخرى هي من ذكرتها، وهي أيضاً من

نسب إليها ولديه مختار وأكرم فيما بعد، وهذا لأسبابٍ عديدةٍ من ضمنها أنه تزوجها بعد فراقه من زوجته اليونانية الذي كان زواجه بها غير رسميٍّ، وسبب آخر لأنها كانت عاقر، ففي البداية تزوّج اليونانية لتنتشله من شطف العيش الذي كان يعانیه واشترطت عليه أن يكون الزواج عرفياً وكان لها ما أرادت وخلال العام الأول من زواجهما حملت زوجته وأصبحت في خصومةٍ مع أهلها بسبب ذلك الحمل لأنهم كانوا يرفضون مصاهرة عربيٍّ مسلمٍ على غير ديانتهم ولهذا كانت المشاكل تنصب عليهم صَباً لأسبابٍ شتى فضاقت كلاهما بالآخر ذرعاً حتى وضعت حملها وفي ذلك الحين جاءت النهاية عندما اختفت تماماً بلا أثرٍ مع توأمها الثالث ...

بتر عبارته مع شهقةٍ عنيفةٍ أشد من سابقها انبثقت من فم الرائد حازم، وجسده ينتفض بعنفٍ وهو يقاطعه قائلاً بذهولٍ:

- توأمٌ ثالثٌ! ماذا تقول يا حاج فواز؟ المعروف والمثبت رسمياً، أن للمرحوم ناجي توأمين فقط مختار وأكرم، لا ثالث لهما!

لَوْح له الحاج فواز بسبابته وهو يقول له بتصميمٍ:

- لا يا بني، بل من المؤكد يقيناً أن هناك توأمٌ ثالثٌ لم يُقَيّد رسمياً كما هو الحال عند زواجهما من شقيقي، هذا التوأم هربت به والدته اليونانية إلى

جهةٍ غير معلومةٍ، ربما تعلمونها أنتم مع بعض التحريات والتقصي.

وهنا دارت بعقل الرائد حازم فكرةً واحدةً بضرورة معرفة قائده المقدم طاهر بهذه المعلومة الجديدة التي ستقلب القضية التي هم بصددتها رأساً على عقبٍ، ولكن تلك الفكرة اصطدمت بتساؤلٍ حائرٍ آخر يبحث عن جوابٍ شافٍ...

كيف حال المقدم طاهر في تلك اللحظة بالتحديد؟

ولو أنه اخترق حاجز المكان لأصابه الهلع حتى يشيب شعر رأسه من هول ما سيرى، وقائده هكذا يحلق في الفراغ بين السماء والأرض، أو بمعنى أدق بين الحياة والموت.

\*\*\*\*\*

كان السقوط من هذا الارتفاع الشاهق مروّعاً بحق حتى إن أشجع الرجال لو عاصر ذلك الحدث ورآه بنفسه، لتوقف نبض قلبه حتماً من هول ما يرى، لكن المقدم طاهر أثناء سقوطه أبصر فجأةً طوق النجاة أثناء سقوطه السريع بفعل عجلة الجاذبية الأرضية.

وكان ملجأً نجاته ذلك السرادق المقام بعرض الشارع على مساحةٍ كبيرةٍ

بين المبنيين حيث كان ينبعث منه تلك الآيات القرآنية التي بلغت مسامعه أثناء صعوده لتنفيذ مخططه، وكان السرادق في تلك الساعة المتأخرة من الليل خاليًا تمامًا من المُعزِّين لانصرافهم بعد قضاء واجب العزاء.

عندها انبعث الأمل بقوة في أعماقه، وتدققت في شرايينه دماء الحياة مرةً أخرى وهو يفرد ذراعيه في الهواء حتى بدا كنسرٍ جارحٍ يشقُّ الهواء كالسهم باتجاه هدفه، واستعد لتلقي الارتطام بفراشة السرادق بأن دار بجسده دورتين رشيقتين سريعتين للتخفيف من حدة وقوه الارتطام قبل ثمانية أمتارٍ من سطح الخيمة الكبيرة ذات قماش التيل السميك التي ارتطم بها بالفعل ثم ارتدَّ جسده عنها مراتٍ عديدةً قبل أن يستقرَّ ويهدأ تمامًا فالتقط أنفاسه وهو يتمتم بخشوع:

- لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

وفي الأعلى جنّ جنون مختار وهو يشاهد ما حدث من شرفة مكتبه، فأخذ يطلق الرصاص عشوائياً على جسد المقدم طاهر بعد أن استقرَّ على سقف السرادق ومن هذا المدى الذي يربو على المائة متر.

وهو يعلم جيداً تلك القاعدة التي تقول إنَّ أقصى مدى لمسدسات التسعة ميلي من مائة وخمسين إلى مئتي مترٍ وإنَّ المدى القاتل من ثمانين إلى

مائة مترٍ.

لذا فهو يعلم يقيناً أنّ ذلك لن يجدي، فهو لم يُحكّم التصويب جيداً كذلك خصمه لن ينتظره حتى يقتنصه هكذا بضربة حظٍّ من هذه المسافة ولكنه الغضب العارم الذي جعله يبادر بذلك، وعندما لم يفلح مسعاه هوى بقبضته على حاجز الشرفة وهو يصرخ بغیظٍ مكبوتٍ:

- يا إلهي! كيف نجوتَ أيّها الشيطان من هذا السقوط المروّع، ألك تسعة أرواح مثل القطط؟ أم أنّ النجوم في هذه الليلة توافق برج حظك؟  
قال عبارته الغاضبة وتناستها مشاعره تماماً وهو يطلق ضحكةً شامتةً مستطرداً بسخريةٍ:

- ولكن هيهات، فأنا اتخذتُ كافة التدابير لعدم خروجك حياً من تلك المنطقة، وما ينتظرك من خطرٍ داهمٍ لا أظنك ستخطاه أبداً مهما حاولت.  
وفي تلك الأثناء كان المقدم طاهر قد تعلّق بكلتا يديه بأحد الأعمدة الخشبية الصنوبرية التي تتألف منها خيمة السرادق وانزلق عليها بخفةٍ حتى وصل إلى الأرض، ومنها انطلق بسرعةٍ باتجاه سيارته الفورد التي أوقفها بجوار ذلك المبنى الذي صعد إلى سطحه، ودلف إليها بسرعةٍ وأدار محركها وأسرع بها للفرار من هذا المكان، وهو يربّتُ على جيبه للتأكد من وجود

هاتف مختار فيه.

وتنفس الصعداء وارتسمت على شفثيه ابتساماً جذلةً واشتعل عقله بماهية تلك الرسالة القصيرة التي استقبلها هذا الهاتف وارتعدت لها فرائص مختار دُعراً عندما جاءت في توقيت وجوده معه فتمتم بتساؤلٍ حائرٍ:

- يا تُرى ما الذي تحملينه أيتها الرسالة من مضمونٍ لا يتمنى مختار أن أعرفه؟

قالها ودسَّ يده في جيبه لإخراج الهاتف، ولكنَّ يده تسمَّرتُ بغتةً وهو يحدِّق في أضواء أعمدة الطريق في نهاية السور المرتفع لمبنى مؤسسة مختار ناجي الاقتصادية، فرأى سيارة نقلٍ مرسيدس ضخمةً تقف في عرض الطريق قاطعةً إياه وملتصقة بصندوقها الخلفيِّ بحائط مبنى تحت الإنشاء ولم تترك سوى مساحةٍ ضئيلةٍ على يسار مقدمتها لا تكفي حتى لعبور سيارته، بل والأدهى كان يقف منتصباً في ذلك الفراغ الضيق رجلٌ ضخمُ الجثة يثبَّتُ على كتفه قاذف صواريخٍ روسيٍّ أر - بي - جي مضادٌ للدبابات، ويصوبه باتجاه سيارته المسرعة، ولم يكد المقدم طاهر يلمحه حتى أيقن أنه ينتظره تحديداً وصدَّق حدسه عندما ضغط ذلك الرجل زرَّ إطلاق الصاروخ الذي انطلق وفي إثره وهجٌ من النيران أضاء الطريق كالبرق المخيف، وتهياًً بطلنا له منذ لحظة انطلاقه بأعصابٍ فولاذيةٍ وجسارةٍ فائقةٍ

وبثباتٍ انفعاليٍّ يُحسد عليه فأدار عجلة القيادة ببراعةٍ لتتحرف السيارة الفوردي في اللحظة الأخيرة بحدّةٍ جانباً وإطاراتها تطلق صريراً مخيفاً جراء الاحتكاك بالإسفلت، وعندما جاء الصاروخ للالتقاء بالسيارة لم يجدّها مكانها فتجاوزها بعد أن خلخل الهواء في تلك النقطة حتى كادت الموجة الانضغاطية تطيح بالسيارة.

لكنّ المقدم طاهر تمكن بقبضةٍ حديديةٍ من السيطرة على عجلة القيادة ليُعيد السيارة إلى مسارها الطبيعيّ ومن خلفه سمع دويّ انفجار الصاروخ، ولكنه لم يبال به وهو يضغط دواسة الوقود أكثر وفي عقله تدور فكرةٌ مجنونةٌ قرّر وضعها موضع التنفيذ وذلك الرجل يضع بسرعةٍ قذيفةً أخرى في فوهة المدفع والفورد تقترب منه بسرعةٍ رهيبيةٍ، وهو راسخٌ كالجبل فثبّت المدفع على كتفه وأحكم تصويبه جيّداً هذه المرة لأنه انتحاريٌّ ولا خيار ثالثٌ أمامه؛ فإمّا حياته أو حياة غريمه لأنه في تلك اللحظة كانت السيارة على بعد أمتارٍ قليلةٍ منه وكأنّ قائدها قد أصابه مسٌّ من الجنون وقرر التضحية بحياته في سبيل الفتك به.

عندها وبلا مقدماتٍ أطلق صاروخه الثاني بكلّ قوّته لينطلق الصاروخ بالفعل من عقاله قاصداً راكب الفوردي الذي قال بصراحةٍ:



- هما خيارين أحلاهما مُرُّ يا هذا، إمَّا حياتي أو حياتك، وبكلِّ أسفٍ لا خيار ثالث أمامي.

قالها وهو يميل بسيارته متنحياً جانب يمين الطريق حتى كادت السيارة تَحْتَكُ بسور المبنى وهو يدور بعجلة القيادة دورةً كاملةً باتجاه اليسار ببراعةٍ فائقةٍ لتميل السيارة على جانبها الأيسر ويحدث ذلك الفعل المدهش عندما ارتفع إطاراها الأيمنين عاليين في الهواء ثم بحركةٍ حادَّةٍ أدار عجلة القيادة مرَّةً أخرى باتجاه اليمين ليرتطم الإطاران الأيمنان بسور المبنى وتنطلق مندفعَةً على هذا الوضع المائل بسرعتها، وفي تلك اللحظة وصلها الصاروخ ولكنه لم يُصَبْ الهدف كسابقه وتجاوزه إلى نفس مصيره والسيارة تواصل اندفاعها الرهيب بهذا الحال العجيب حتى اصطدمت بهذا الانتحاريِّ الذي انثنى خصرُه كطودٍ ينهار، بل المصطلح الأدقُّ أنَّها اجتثته من الأرض، كاجتثاث ساق النبات بعد أن أينع في موسم الحصاد، حصدته معها الفورد في طريقها، وعلى وجهه نُقِشَتْ أعتى علامات الرعب وهي تعبر به ذلك الفراغ الضيق بين مقدمة سيارة النقل وسور المبنى، ثم أعادها مرَّةً أخرى إلى وضعها الأصلي بعد عبورها الناجح لتلقي بجثته على جانب الطريق ثم تنطلق متجاوزةً كلَّ ذلك، والمقدم طاهر بداخلها يُردِّف لعبارته السابقة ولكن بانفعالٍ آخر مختلفٍ بمرارةٍ ملأت حلقه بالعلقم:

- لقد اخترتُ النجاة بحياتي، واستبدلتها بحياتك، ويا ليتك تركت لي خياراً  
آخرَ بديلاً!

قالها وهو يخرج هاتف مختار الجوال وطالع شاشته ثم مسح بسبابته  
على أيقونة الرسالة القصيرة الأخيرة الذي باغته نصها يخاطب به المرسل  
المجهول مختار ناجي فقرأه وهو يغمغم بخفوتٍ:

- تريث جيداً في خطواتك، حتى يبرز صاحب برج العقرب عندها اسحق  
رأسه قبل أن يلدغنا جميعاً!

كانت جملة معقدةً على عكس ما توقعها: صريحةً ومباشرةً، بل جاءت  
مبهمةً تحمل في طياتها كلَّ غموضٍ اشتعل عقله لفكِّ طلاسمه، فهل ينجح  
في حلِّ شفرتها حقاً؟

أم هل يظل السؤال معلقاً بلا جوابٍ؟

وحتى إشعارٍ آخر.

\*\*\*\*\*



## المُواجهة

أسبل مختار ناجي جفنيه وهو مستلقٍ مسترخٍ على كرسي الشيزلونج بجوار حوض السباحة الخاصّ بحديقة فيلته في ذلك الصباح المنعش، حتى بدا للمتابع أنه يغط في نوم عميقٍ ولكنّه على العكس تمامًا؛ كانت حواسه كلها منتبهةً وهو يخرج ذكرياته من عقالها، ويستغرق فيها بكيانه كله.

تلك الذكريات الخفية التي لو تكشّفتْ على الملأ لأصابتْ من حوله بذهولٍ مطلقٍ. توقف كثيرًا عند بداية الأحداث الفعلية عندما التقط له ذلك الصحفي صورةً نادرًا ما يتوافق أنْ تحدث، بتلك المصادفة وهو يقتل شقيقه التوأم. عندها جنّ جنونه وسالت الدماء أنهارًا في سبيل محو الصورة من الوجود

والقضاء نهائياً على مَنْ علم بأمرها، ثم كانت المفاجأة المدهشة بظهور ذلك المقدم الذي قلب كل الموازين رأساً على عقبٍ بأن كانت الصورة بحوزته بعد أن أفتنع تماماً بأنه قد تخلص منها.

عندها اشتعل بركان غضبه حتى تأجج بالحمم الرهيبة وصَالَ وَجَالَ في محاولاتٍ شتّى للقضاء على هذا الرجل ولكنه في كل مرةٍ كان يفشل، والأدهى أنه كان يخسر كثيراً، بل كانت الفاجعة بخسارة حارسه الشخصي الذي كان يعوّل عليه كثيراً للقيام بتلك المهمة الخطيرة المرتقبة، والآن ليس أمامه سوى القيام بها بمفرده بعد تعديل جذريٍّ للخطة كلها.

خطة التخلص من .....

- من أنت؟! فأنت لست مختار الذي أعرفه.

انطلقت العبارة بلهجةٍ حادةٍ فبلغت مسامعه حاملاً صوت زوجته إيناس شوكت، ففتح عينيه ثم حدجها بنظرةٍ ناريةٍ وهو ينهض من استلقائه ببطءٍ مثيرٍ وعلى شفثيه شبح ابتسامةٍ مقيتةٍ وقال ببرودٍ:

- أجل صدقت، فأنا لستُ ذلك الأحمق مختار ناجي؟

كان رده بمثابة الصدمة القاسية بالنسبة لها، فتقهقرت خطوةً للخلف وهي تقول له بدهشةٍ بالغةٍ:

- كيف يتسنّى ذاك الأمر؟ فأنت جسدٌ ووجهٌ زوجي ولكنّ مشاعرك تجاهي تحوّلت إلى النقيض تمامًا. ما الذي بدّل مشاعرك تجاهي يا مختار؟!

خطا نحوها بحذرٍ وأطلّ غضبٌ مخيفٌ من عينيه وهو يقول لها بصرامةٍ:

- من الواضح أنك لم تسمعيّني جيدًا، وسأكررها على مسامعك مرةً أخيرةً، أنا حقًا لستُ ذلك الأبله زوجك، أنا أعرفه تمام المعرفة ولا يعرفني مطلقًا، ولا داعي للاستمرار في هذه التمثيلية السخيفة التي سأصنع حلقتها الأخيرة الآن بعد أن مللتُ من تقمص ذلك الدور الرتيب طوال الفترة المنصرمة.

تراجعتُ خطواتٍ حادّةٍ هذه المرة حتى إنّ قدميها انزلقت على الأرضية الملساء وانحنتُ بظهرها للخلف وكادتُ تسقط في حوض السباحة وتصارعتُ ذراعاها مع الهواء للتشبث بأَيِّ شيءٍ وفي تلك اللحظة مدّ لها مختار يده وقبض على معصمها ليمنعها من السقوط فتنفست الصعداء ثم سقط قلبها مرةً أخرى بين قدميها بعنفٍ مع قوله الصارم:

- بيدي لا بيد عمرو!

قالها وهو يدفعها دفعًا بكلِّ قوّةٍ باتجاه حوض السباحة، فسقطتُ فيه بعنفٍ وغاصتُ في أعماقه لبرهةٍ قبل أن تطفو مرةً أخرى على السطح وهي تصرخ بهلعٍ:

- لماذا تفعل بي كل ذلك أيها الحقير؟!

قبض بكلتا يديه على شعرها وضغط على رأسها لكي يغمسها في مياه الحوض وهو يهتف بشراسة:

- إن عاجلاً أو أجلاً كنت ستكتشفين حقيقتي أيتها النابهة.

غمر وجهها في مياه الحوض وهي تقاومه باستماتة وهو يستطرد بلهجة شيطانية:

- اعذريني فأنا الآن أختصر الزمان، بعد أن نفذ رصيد حياتك.

ظلَّ قابضاً على شعرها وهي تقاومه بشراسة، ولكن هيهات! فلقد كان أقوى منها بمراحلٍ عديدةٍ، لذا راح يدفعها أكثر فأكثر إلى أعماق الحوض، وهي تحاول مقاومته بكلِّ ما أُوتيت من قوةٍ، بمحاولاتٍ مُستميتةٍ مُضنيةٍ متشبثةٍ بالحياة.

واستمرَّ هذا الحال لدقيقتين كاملتين؛ هو يدفعها أكثر إلى الماء، حتى ابتلعتُ دفقةً من الماء، عندها انهارتُ مقاومتها وشارتُ قواها رويداً رويداً وتهاكتُ تماماً، وهمدتُ حركتها، بعد أن لفظت أنفاسها الأخيرة.

ثم طففت بجسدها على صفحة مياه الحوض وعيناها تجحطان برعبٍ هائلٍ،

عندها فقط تخلت قبضة مختار عن شعرها وتركها على هذا الحال، ثم جلس على الشيزلونج و التقط هاتف المنزل اللاسلكي عن المنضدة الصغيرة بجواره وضغط زرّ الاتصال بقسم الشرطة التابع لمدينة الرحاب، ولم يكذب يسمع صوت الطرف الآخر حتى ابتدره وهو يدعي الحزن:

- النجدة يا سيادة الضابط، زوجتي الحبيبة، جاءتها النوبة القلبية المعتادة وهي بالقرب من حوض السباحة، ولقد رأيتها من شرفة الفيلا وهي تسقط في الماء وأسرعتُ لإنقاذها ولكن للأسف لم تسعفني ساقِي للوصول إليها في الوقت المناسب، فعندما وصلتُ إليها كانت...

صمتَ برهةً وهو ينتحب بحدةٍ ثم أردف ببكاءٍ مريّرٍ:

- آه... آه... يا زوجتي الحبيبة، ليس لي من دونك حياة، لا سند ولا ولد.

قالها وهو ينهي المحادثة بذلك التمثيل المتقن ثم وضع سماعة الهاتف على المنضدة والتقط عنها علبة السيجار الذهبية ثم أخذ منها لفافة سيجار فض غلافه برؤيةً وشعور الخيلاء والزهو يغزوان كيانه، وهو يشعل السيجار بقداحته الفضية الجديدة ثم سحب منه نفساً خفيفاً بتلذذ وانتشاء زفره باستمتاع تامّ وهو ينظر بطرف عينيه إلى الجثة التي طفت على صفحة الماء ثم أسبل جفنيه واستلقى مسترخياً مرةً أخرى على كرسي الشيز لونج،



ينتظر وصول رجال الشرطة بين الفينة والأخرى. ثم أطلق لذكرياته العنان مرةً أخرى وعلى شفتيه ارتسمت ابتسامةٌ.

ابتسامةٌ شريرةٌ قاتلٍ ولكن في عينيه براءةٌ، براءةُ الأطفال، الصغار جدًّا.

\*\*\*\*\*

أوقف الرائد حازم خيرى سيارته أمام ذلك الحصن المنيع المعروف باسم سجن العقرب في جنوب القاهرة، الذي يُعدُّ آخر عنقود سلسلة طره الشهيرة، ثم ترجّل منها واتجه إلى بوابة السجن وأبرز بطاقة هويته وتصريحًا خاصًا لزيارة أحد المساجين مذيلاً بتوقيع مساعد وزير الداخلية الذي لم يكد حارس البوابة يتيقن من صحته حتى أشار له بدخول المبنى وهو يقول بلهجة ترحيبٍ:

- تفضل بالدخول يا سيادة الرائد، فالسيد مأمور السجن في انتظارك بمكتبه.

استعاد منه الرائد حازم هويته وهو يقول له بهدوءٍ:

- شكرًا جزيلًا، وأدعُ لي أن تكلل هذه الزيارة بتحقيق الهدف المرجو منها ويحالفها التوفيق.

اتسعت ابتسامة حارس الأمن وهو يقول له:

- حظاً موفقاً، وبأذن الله تبوء زيارتك بما ينشرح له صدرك.

أوماً له الرائد حازم برأسه ثم عبر ممرّاً طويلاً ينتهي بفناء السجن الواسع ومنه ارتقى درج سلم المبنى الإداري حيث مكتب مأمور السجن الذي استقبله بحفاوةٍ بالغةٍ وصافحه قائلاً:

- مرحباً بك في سجن العقرب يا سيادة الرائد، تفضل بالجلوس، وما هي إلا دقائق قليلةٌ ويكون السجين أكرم ناجي في هذا المكتب لكي تسأله ما يحلو لك من أسئلةٍ.

جلس الرائد حازم على أقرب مقعدٍ صادفه ثم قال بلهفةٍ:

- يا ليت ذلك يكون بسرعةٍ فعلاً يا سيادة المأمور لأنني متشوق فعلاً لرؤية ذلك السجين ومحدثته.

دلف في تلك اللحظة أحد المجندين وهو يحمل فنجان قهوةٍ وقدمه للرائد حازم، فأخذه منه والمأمور يشير إليه قائلاً:

- ريثما تنتهي من تناول قهوتك يكون هذا السجين قد أتى إلى هنا.

هزّ الرائد حازم رأسه بهدوءٍ، والمأمور يتابع بحيرةٍ شديدةٍ:

- ولكن ماذا دهى هذا السجين حتى يصنع كل هذه الجلبة؟ فبادئ ذي بدء اتصل بي المقدم طاهر ليستعلم عمّا إن كان قد تمكّن من الهرب أم لا، والآن ها أنت قادمٌ لتستجوبه، فهل الموضوع جدُّ خطيرٌ إلى هذا الحد؟ رمقه الرائد حازم بنظرةٍ طويلةٍ ثم رشف رشفتين من فنجان القهوة قبل أن يجيبه بشروء:

- هي حكايةٌ يطول شرحها يا سيادة المأمور، ولكن بإذن الله سيأتي الوقت الذي ستعلم فيه كافة التفاصيل المتعلقة بهذه القضية.

دلف إلى المكتب بعد عبارته، أحد الضباط وهو يقتاد السجين أكرم ناجي فأشار إليه المأمور بتركه والانصراف. ولم يكذب يفعل حتى قال المأمور للرائد حازم بمودة:

- خذ راحتك كيفما تشاء حتى أعود من جولةٍ تفقديةٍ للسجن لن تستغرق وقتاً طويلاً حسبما أعتقد.

هزّ الرائد حازم رأسه بامتنانٍ وهو يقول:

- تغدو وتعود في رعاية الله وأمنه يا سيادة المأمور.

غادر المأمور المكتب ثم أوصد الباب خلفه، عندها ابتدره أكرم هاتفاً بعصبيةٍ بالغةٍ:

- ما هذا! حفلة استجوابٍ أخرى؟! رفقا بي أيها السيد المبجل، لقد أنهكتُ للغاية خلال الشهور الماضية من الاستجوابات الرتيبة التي جعلتني أحجم عن الحديث حتى يحين وقت المحاكمة، عندها سأبوح بمفاجآتٍ مدويةٍ ستدهش حتماً كل من يسمعها.

هَبَّ الرائد حازم من مقعده ودنا منه وهو يقول:

- اطمئن فما جئتك من أجله لا يتعلق بالقضية التي ستُحاكم من أجلها، ولكنني أريدك لأمر آخر سيدهشك أنت أيضاً كما ستفعل بنا أثناء المحاكمة! ضاقتُ حدقتنا أكرم وهو يقول له بحيرةٍ:

- وماذا يا ترى ذلك الأمر الذي سيدهشني أيها السيد المحترم؟

أجابه الرائد حازم وهو يبرز له تلك الصورة الفوتوغرافية التي لم يكد يراها حتى ارتدَّ خطوةٍ للخلف وكأنما أصابته صاعقةٌ من السماء وقال بذهولٍ:

- عجباً! ما الذي جاء به إلى تلك العوامة؟!!

ثم استدرك ساخراً بسرعةٍ:

- ولكن هل تظنني غراً ساذجاً لتنطلي عليّ هذه الخدعة بهذه الصورة المفبركة؟

انتبه الرائد حازم لاستدراكه فقال له بصرامة:

- مهلاً يا رجل، أنت تشير إلى طرفٍ ثالثٍ من الواضح أنك تعرف هويته جيداً؟!!

هز أكرم كتفيه بحيرةٍ وتلعثم قبل أن يستجمع حروف عبارته المرتجفة:

- لا... لا، لقد كنتُ أقصد ما الذي جاء بي، لا به. وهو خطأً لفظيًّا من جرّاء صدمتي برؤية هذه الصورة المرعبة؟!!

قبض الرائد حازم على تلايبه حتى تحشرج صوته في حلقه وكاد يختنق وضربات قلبه تتسارع وقال له بحدّة:

- اسمع يا هذا، هذه الصورة التقطت منذ بضعة أيامٍ لذا فالأمر جدُّ خطيرٌ ولا يحتمل كل هذه المهاترات الخرقاء، وأسلم لك أن تأخذ حديثي على محمل الجد لا الهزل، وأن تخبرني عن كل ما تعرفه عن هذا الرجل الذي يصبّ إليه شقيقك مسدسه بكل هذه الحدّة، وإلا سأضطر إلى استخدام أسلوبٍ لا أحبّه أبداً.

التقط أكرم أنفاسه بصعوبةٍ وهو يزدرد لعابه بعد أن أفلت الرائد حازم قبضته، وبعد أن هدأت ضربات قلبه فقال بخبث:

- صدقني لا أعرف عنه شيئاً، ثم كيف أعلم ما يدور في الخارج وأنا لم أبرح

زنانة السجن منذ عدة شهور!

نظر إليه الرائد حازم بريية وهو يقول:

- من الواضح أنك لا تبوح بالصدق يا رجل، فلامحك تفضحك بشدة.

رمى أكرم سقف الحجرة حتى يتهرب من نظراته، وحاول تغيير دفة الحديث وهو يقول بمراوغة:

- المهم أخبرني هل أصاب شقيقي مختار أيُّ سوءٍ؟ فما تبوح به هذه الصورة لا يبشر بالخير أبدًا!

انتبه الرائد حازم لمراوغته، وبرغم ذلك جراه وهو يجلس على مقعده و يجيبه بهدوءٍ مثيرٍ:

- اطمئن شقيقك بكامل عافيته، بالرغم من أن هذه الصورة تشير إلى أنه إمَّا قاتلٌ أو مقتولٌ!

جلس أكرم على المقعد المقابل وهو يقول له بسخرية:

- من قتل من؟ شقيقي أم هذا الشخص الذي من المفترض أنه أنا؟! فأحدنا قتل الآخر، وكلانا لا زلنا نتشبث بالحياة، كيف يتسنى ذلك؟!

أطرق الرائد حازم برأسه هنيهةً ثم رفع عينيه ببطءٍ والتقط نفسًا عميقًا

وتنهّد وهو يقول بحدّة:

- أجل، ربما حدث ذلك بالفعل، وهو قدوم توأمكم الثالث إلى مصر ومحاولة التخلّص من شقيقك مختار و...

قاطعهُ أكرم وهو يهتف سخريةً:

- ماذا تقول؟! توأمٌ ثالثٌ! هذا الأمر عارٌ تمامًا من الصحة فأمي لم تنجب توأمٍ سوانا أنا وشقيقي مختار، فمن أين جنّت بهذا التوأم الثالث؟ يا لخيالك الجامح الذي خيّل لك هذا التصور!

لوّح الرائد حازم بيده وهو يهتف بحدّة:

- ليس خيالًا جامحًا كما تتصور يا رجل، بل هي حقيقةٌ مجردةٌ من أيّ هوّى. أخبرني بها عمّك فواز وتأكدتُ من وجودها على أرض الواقع بمصادرٍ أمنيةٍ بحثتُ في مصلحة الجوازات والهجرة والجنسية، وقد أكّدتُ بالفعل سفر أمكم اليونانية بتوأمكم الثالث إلى أثينا في مطلع السبعينات، وربما يكون قد عاد لينتقم ممّن يظنّ أنهم أساءوا إلى والدته وينعموا في خيرٍ كان هو أولى به.

قال أكرم بنهكم:

- توأمٌ ثالثٌ وأُمٌ يونانيةٌ، من الواضح أنّ عمّي فواز قد أصابه داء الزهايمر

في الصميم، أو انتابته لوثةً من الجنون والخرف جعلته يتدع تلك القصة الطريفة التي لا تنطلي على طفلٍ يحبو، والتي لم أسمع أن أحداً قد تفوه بها قبل ذلك قط!

انفجر فيه الرائد حازم فجأةً وهو يهبُّ من مقعده غاضباً:

- ماذا دهاك يا رجل؟ أتسخر مما أخبرك به، بالرغم من أنني تأكّدت من صدق ما قاله لي عمك، كما قلت لك، ولكنّ سخريتك لا تهمني في شيءٍ شئت أم أبيت. ما قلته لك هو واقعٌ لا خيالاً تحاول أنت جعله كذلك بهذه السخرية المصطنعة التي من الواضح أنك تحاول بها مداراة معرفتك بهذا الأمر، وهو أن لك توأمٌ ثالثٌ بالفعل تسبّب ظهوره في حدوث جريمةٍ كان توابعها مذبحه رهيبهٌ راح ضحيتها العديد من الأبرياء الذين لا ذنب لهم سوى أن حظهم العاثر أوقعهم في طريق سفاح آدميٍ حقيرٍ، لا هم لي الآن سوى كشف القناع عن هويته وتقديمه للعدالة لينال جزاء ما اقترفت يداه من آثامٍ يشيب لهولها الولدان.

بهت أكرم بتلك الكلمات الغاضبة، التي شلّت تفكيره تماماً فهزّت كيانه وأصابته في مقتلٍ كخنجرٍ ماضٍ غمدٍ حتى مقبضه في صميم قلبه فلم يتفوه ببنت شفةٍ، مع هذه العبارات الصادمة التي سمعها بقلبه لا بأذنيه.



وتسمّر الزمان لثوانٍ دون أن يحركَ أحدٌ ساكنًا حتى طرق الباب مأمور  
السجن ثم دلف إلى المكتب وعلى وجهه تساؤلٌ حائرٌ لفظته عيناه قبل أن  
يتلفظ به لسانه وهو يقول:

- هل كشفتَ النقابَ عما كنت تريد معرفته يا سيادة الرائد؟ أم ظلَّ القناع  
راسخاً ولم يسقط بعد؟

أجابته ملامح اليأس والإحباط الذريعين على وجه الرائد حازم دون أن  
يصرّح بهما بلسانه، وظل سؤالان متضادان حائران بالفعل يشعلان عقله  
وينتظران المستقبل وحده ليجيب عنهما.

- هل سيسقط القناع حقًا عن كل ما حدث؟!

- أم يظل ما حدث طيِّ الجريمة الكاملة؟!

\*\*\*\*\*

## وسقط القناع

على خلاف العادة دلف مدير الموساد الإسرائيلي إلى حجرة مكتب مسئول متابعة العملاء دون أن يطرق الباب، عندها تفاجأ هذا الأخير وهباً من مقعده خلف مكتبه تاركاً ما بيده وابتدره قائلاً بلهفة نفاقٍ:

- سيادة المدير شخصياً، هذا يوم سعدي، يا لي من محظوظٍ حتى تتكرم عليّ وتشرفني بزيارة مكنتي هذا الصباح.

فاجأه التجهم الذي طغى على ملامح المدير وهو يقول له بحدة:

- ما هي آخر أخبار رجلنا في مصر يا أدون إفرام؟ ولماذا لم تخبرني بكافة التطورات في تقريرك اليومي والتي علمتها مصادفةً من قناة سي. إن. إن الإخبارية؟

قال له إفرام باضطراب:

- ماذا تقصد بالضبط يا سيادة المدير؟!

أجابه المدير وهو يُطلق زفرةً قويةً من أعماق صدره، ولوّح له بيده بعصبيةٍ قبل أن يجلس على المقعد المقابل لمكتبه ويقول:

- حادثة غرق إيناس شوكت، في حوض السباحة والتي تناولتها كافة وسائل الإعلام العالمية نظراً لكونها سلية أعرق العائلات التركية ولما تمثله هذه المرأة من دور بارز في النشاط الاجتماعي في مصر، ولا أستبعد أن يكون رجلنا يائيل شيمون هو من فعلها بتهورٍ وحماسةٍ قد تؤدي إلى كشف أمره. ارتجف إفرام لعصبية مديره وتمتم باستكانة:

- معذرة يا سيادة المدير ولكن ذلك الأمر سقط سهواً مني وأنا أخطُ لسيداتك التقرير اليومي عن جاسوسنا من خلال متابعتي الدائمة له.

تنهّد المدير بضيقٍ وأطلّ غضبٌ مخيفٌ من عينيه وهو يقول بتهكم:

- ماذا تقول يا أدون إفرام؟! هذا الأمر بالغ الأهمية قد سقط سهواً منك! كيف يتسنى ذلك؟ وهل تظنّ نفسك تعمل في مدينة ملاء ترفيهية، استيقظ وانتهبه جيداً لنفسك وما تتطلبه منك مهامٌ وظيفتك فأنت تعمل في أقوى جهاز مخبراتٍ في العالم كله ولن أقبل مطلقاً وقوعك في خطأٍ مشابهٍ

مستقبلاً، عندئذٍ لا تلومنَّ إلا نفسك، لأنني لن أرحمك آنذاك.

أطرق إفرايم برأسه أرضاً وقال بخنوع:

- تقبلُ أسفي مرةً أخرى يا سيدي، وأعدك أنني لن أكرر هذا الخطأ مستقبلاً.

هزَّ المدير رأسه ثم انعقد حاجباه بغضبٍ هادرٍ وقال بحنقٍ:

- ذلك الأحمق يائيل شيمون، فعل من الكوارث ما يهدد بانكشاف أمره فمنذ

أن وطئت قدماه القاهرة وهو في صراعٍ شرسٍ دائمٍ مع رجل الأمن المصري

وهذا يتنافى تماماً مع المفترض أن يكون عليه كجاسوسٍ خاملٍ لا ينشط

من حالة كمونه سوى في وقتٍ محدّدٍ نحدده نحن له، ولكنه بغبائه الشديد

قد يعرّض ما نسعى له، والذي من أجله زرعناه في قلب المجتمع المصري

للخطر الداهم.

أوماً له إفرايم برأسه إيجاباً وهو يقول:

- صدقت يا سيدي، ومن أجل ذلك التهور الذي من المفترض أنه سمةٌ بعيدةٌ

كلّ البعد عن شخصية يائيل الذي نثق جيداً في قدراته كمحترفٍ حقيقيٍّ،

لذا فقد أرسلتُ له هذه الرسالة التحذيرية حتى ينتبه جيداً لما هو قادم.

أطلق المدير ضحكةً ساخرةً وهو يغمغم قائلاً:

- وها هو ذا قد فعل بالنصيحة الرشيدة، وبدلاً من أن يمشى بجوار الحائط كما هو المفترض في هذا التوقيت أقدم بحماقةٍ شديدةٍ على قتل زوجته حتى تشير إليه أصابع الاتهام، وحتى لو لم يتمّ فعلياً توجيه اتهامٍ إليه، يكفيه كلّ الشبهات التي حامت وتحوّمت حوله.

عض إفرايم شفته حتى أدماها ثم هوى براحته على سطح المكتب وهو يقول بمرارةٍ خانقةٍ:

- يا ليتته مضى في طريق الخطة كما هو مخطّطٌ لها، عندها كان الأمر سيختلف كثيراً عما نحن بصددّه الآن.

فرك المدير كفيّه بعصبيةٍ وقال بتوترٍ حادٍّ:

- بالفعل لو سار كلّ شيءٍ كما مخطّطٌ له، عندها ستكون هذه هي الصفعة الهادرة على وجه الأمن المصريّ كله، والردّ الحاسم على عملية زرع المصري جاك بيتون الذي خدعنا طيلة سبعة عشر عاماً كاملةً، بالرغم من أننا كنا نشعر باختراقٍ قويٍّ في قمة جهاز الأمن الإسرائيلي، لكننا لم نشك ولو ذرةً شكٌ في أنه هو من أحدث فجوةً كبيرةً في جدار جهازنا الأمنيّ كانت تنقل للمصريين كلّ همساتنا وتحركاتنا لحظةً بلحظةً، ولم نعرف آنذاك أنه يعمل لحساب المصريين سوى بعد وفاته وإعلان المصريين أنفسهم لذلك الخبر

المأساوي الذي هوى على رؤوسنا كالصاعقة المدوية، بل والأدهى أنهم سردوا قصة حياة بيتون في مسلسلٍ رأفت الهجان الشهير.  
هزّ إفرام رأسه وهو يقول بقلبي:

- بالفعل كنا نعول على يائيل لتقديم الكثير لنا بحكم موقعه الجديد كرجل أعمالٍ يمتلك أكبر مؤسسة اقتصادية في الشرق الأوسط وكعضو بارز في مجلس النواب المصري، هذان الأمران كانا سيجعلانه بالقرب من صانع القرار وبالتالي سيخدم مصالحنا حتمًا، وأيضًا يسير مصر في الاتجاه الذي نبتغيه، وبالتالي لا تكون صاحبة قرارٍ أبدًا، بل سيكون قرارها من هنا تحديدًا؛ من تل أبيب!

مطّ المدير شفتيه وحكّ أنامله في جبهته وهو يقول بغیظٍ:

- لو لم يكن القدر قاسيًا على دان ليفي الذي اختطفه رداء الموت، لكانت خطة الخلاص الآن تمضي قدمًا في مسارها الصحيح حتى بلوغ مأربها ولكن هذه المفاجأة الصادمة هي ما جعلتنا نرتجل خطة الخلاص البديلة التي تعتمد في المقام الأول على براعة يائيل في حسمها، ولولا ذلك لظلّ في موقعه كجاسوسٍ كامنٍ دون الاعتماد عليه نهائيًا في تلك المرحلة الحرجة.  
طرقع إفرام أصابع كفيه واصطكت أسنانه ببعضها بحدة وهو يقول:

- ولكن الظروف الطارئة هي ما أوقعت يائيل مضطراً في ذلك الصراع الإجباري مع رجل الأمن المصري، حتى اشتد وطيس المواجهة بينهما، لنصل إلى هذه المرحلة الفارقة التي تحتاج إلى محترفٍ يؤدّيها وأعتقد أنه أهلٌ لها وسيؤدّيها على خير ما يرام.

قال المدير بصرامةٍ:

- أجل، سيؤدّيها لأنه لا سبيل أمامه سوى ذلك وحتى يكون وجوده في القاهرة له إفادةٌ تُذكرُ.

قالها وهبٌ من مقعده وتحرك داخل الحجرة بعصبيةٍ واستطرد بحنقٍ:

- ولكن للأسف بهذه الأفعال الحمقاء تقترب نهاية يائيل وتجعله قاب قوسين أو أدنى من السقوط، عندئذٍ سيكون في تلك الحالة قد أصبح ورقةً محترقةً بالنسبة لنا، ولن تعود له فائدةٌ في ذلك الوقت.

هزّ إفرايم رأسه وهو يقول بأسى:

- هذا الأمر صحيحٌ و متوقعٌ للأسف في القريب العاجل يا سيادة المدير، بفعل تلك التصرفات الهوجاء والخرقاء التي أقدم عليها يائيل شيمون طيلة الفترة القصيرة التي قضاها في القاهرة.

طأطأ المدير رأسه عند قدميه وهو يخطو الهوينى وعقد أصابعه خلف

ظهره في تفكيرٍ عميقٍ استرسل فيه لدقيقةٍ كاملةٍ لم يحرك خلالها إفرام  
ساكناً قبل أن يخرج المدير عن صمته ويرمقه بنظرةٍ صارمةٍ وهو يقول:

- لا خيار ثالث الآن أماننا، فإمّا سمعنا ذائعةً الصيت، التي ستهدر وتهان  
بين أجهزة المخابرات العالمية في حالة سقوط يائيل والتي ستعدّ فضيحةً  
مدويةً على كلّ الأصعدة، أو بقاءه في جهاز الموساد، ولذلك بعد أن يخوض  
غمار تلك المهمة القادمة، التي أثق كثيراً في أنه سيؤديها بنجاحٍ منقطع  
النظير والتي ستعدّ بمثابة مهمةٍ نهاية خدمته في الموساد!

فرك كفيه وهو يستطرد بحدّة:

- وبالرغم من أنه ابن زوجتي الراحلة اليونانية أنجيلا ديمتريو!

إلا أنّ العمل ليس به عواطف قطّ، فمن أخطأ فعليه تحمّل العقاب، كما  
نجزل للمصيب الثواب، وعقابي له بعد أن ينجز مهمته القادمة هو...

عقد أصابع كفيه ثم وضع سبابته على جبهته في حركةٍ خاطفةٍ ذات مغزى  
قاتلٍ وهو يقول بمقت:

- تصفية جسدية بلا رحمة!

وكان هذا بمثابة حكمٍ إعدامٍ فوريٍّ على الإسرائيلي يائيل شيمون أو البديل  
المتخفي خلف قناع توأمه المصري مختار ناجي، ذاته.



«لن تصدقَ ما توصلتُ إليه بشأن الرسالة النصيَّة يا سيادة المقدم، فهي مُرسلةٌ من مدينة تل أبيب بالتحديد!»

هتف الرائد حازم بهذه العبارة بلهفةٍ وهو يلجُ حجرة المقدم طاهر الذي أشار إليه بالجلوس وهو يسأله بهدوءٍ مثيرٍ:

- هل تيقنَت من هذه المعلومة جيِّداً يا حازم؟!

كان ردُّ فعله الهادئ يتنافى تماماً مع توقُّع الرائد حازم، الذي جلس بالفعل على أقرب مقعدٍ صادفه وهو يواصل حديثه بنبرةٍ حماسيةٍ:

- تمام اليقين يا سيدي، فلقد قدِّمْتُ للتو من شركة الجوال التي أحد عملائها مختار ناجي، ومنذ مساء أمس وأنا أجلس مع مسؤول الاتصال والتتبع في الشركة، في البداية وجدنا أنَّ الرسالة جاءت من هاتفٍ في مدينة القاهرة، وهذا الهاتف جاءته الرسالة نفسها من هاتفٍ آخر في مدينة شرم الشيخ، وهكذا دواليك لنفاجأ بأنها رسالةٌ متشعبةٌ لأكثرَ من مصدرٍ كشبكةٍ عنقوديةٍ، وباختصارٍ، بعد مجهودٍ مضنٍ وجدنا منبع الرسالة قادماً من إسرائيل على وجه التحديد!

حكَّ المقدم طاهر أرنبه أنفه وهو يغمغم بخفوتٍ:

- هذا الأمر كنتُ أتوقَّعه، فالأيادي الإسرائيليَّة الأثمة آثارها واضحةٌ للغاية

في هذه القضية الشائكة.

أيده الرائد حازم بإيماءة من رأسه، وهو يقول بثقةٍ مُفرطةٍ:

- لذا لم أكنُ أستبعد مطلقاً أن يكون مختار ناجي هو الآخر يعمل كشقيقه  
متخابراً لحساب الكيان الصهيوني، فهي حلقة صراعٍ أبديٍّ بيننا لن تنتهي  
سوى مع قيام الساعة.

ثم تنحنح وازدرد لعابه وهو يردف بلهفة:

- لي وجهة نظرٍ تحليليةٍ حيال هذه القضية الغامضة، هل تأذن لي بسردها  
على مسامعك يا سيدي؟

أجابه المقدم طاهر بهدوءٍ لطيفٍ:

- بالطبع يا حازم، هيا أخبرني بما توصلت إليه فكلي آذانٌ مُصغية.

التقط الرائد حازم نفساً عميقاً وضاقت حدقاته وهو يقول برويةٍ:

- من الجائز أن توأم مختار ناجي الأوروبي قد حضر إلى مصر بطريقةٍ أو  
بأخرى، لم نستدل عليها حتى ذلك الحين بالرغم من أننا قد استعلمنا عن  
وصوله في كافة المنافذ الرسمية التي أكدت عدم قدومه عبر أيٍّ منفذٍ  
معلوم، ولكن كلُّ الشواهد تؤكد أنه جاء بالفعل، وتحليلي أنه قام بابتزاز

توأمه مختار للحصول على مكتسباتٍ منه في عوامة لؤلؤة النيل، عندئذٍ قام مختار بقتله وحاول بعد ذلك محو كلِّ صلةٍ له بالجريمة التي ارتكبتها، ومن الجائز فعلاً أنه يتخبر لحساب إسرائيل التي أمرته بقتل زوجته التي كانت بالفعل من مواليد برج العقرب حسبما تقول الرسالة النصية التي تصادف إرسالها في وقت وجود سيادتك في مكتبه.

التقط المقدم طاهر جهاز التحكم الآلي عن سطح مكتبه وضغط على زر تشغيل التلفاز ثم خفض صوت الجهاز وهو يقول بلهفة:

- فلنتهياً أولاً لرؤية تلك المحاكمة العلنية التاريخية للجاسوس أكرم ناجي التي تحين بعد دقائقٍ قليلةٍ.

ثم أعاد الريموت كنترول مرةً أخرى على سطح مكتبه واستطرد بتفكيرٍ عميقٍ:

- تحليلٌ منمَّقٌ للغاية يا حازم، ولكنه يصطدم بحواجزٍ صلبةٍ، وهي أن مختار ناجي من المستحيل أن يكون جاك بيتون آخر في مصر، لأن تاريخ الرجل لا غبار عليه ومُحصَّ بدرجةٍ بالغةٍ من قبل أن يحصل على حصانة مجلس النواب. تخلى عن مقعده ثم دار حول مكتبه وجلس على المقعد المقابل للرائد حازم، ثم فرك كفيهِ وضافتْ حدقاته بتفكيرٍ عميقٍ وهو ينحني بجسده إلى

## الأمم قائلًا:

- هاك تحليلي الشخصي لكل ما حدث؛ الذي قتل الآخر في العوامة كان التوأم الثالث الذي قَدِمَ إلى القاهرة عن طريق أنفاق مدينة رفح، التي إلى الآن لم ننته من هدمها جميعًا بعد أن ظَلَّت طيلة سنواتٍ عديدةٍ فجوةً ومنفذًا غيرَ رسميٍّ في قلب سيناء بل جرحًا غائرًا في قلب مصر كلها، وهذا الأمر يؤكد أنه يعمل لحساب جهاز الموساد الإسرائيلي الذي أرسله لاغتيال شقيقه مختار، حتى يحتل مكانته كمندوبٍ إسرائيليٍّ في البلاد كشقيقه الثاني أكرم، ولا أستبعد أيضًا أن يكون هو شخصيًا من جنده للتخابر لحساب الموساد.

بعدها ارتكب من المتناقضات مع شخصية مختار ما أصابني بالدهشة البالغة فتساءلت متعجبًا كيف برجل به كل هذه الصفات القبيحة؟ يصل إلى تلك المكانة المرموقة، ولهذا طيلة صراعي معه كنت أشعر بأنني أواجه محترفًا حقيقيًّا لا رجل أعمالٍ بسيطٍ يُقدِّمُ على هذه الأفعال الشيطانية التي كان آخرها قتل زوجته المسكينة بإيعازٍ من الموساد كما تنصُّ الرسالة الأخيرة، التي تبيّنتَ أنتَ من مصدر إرسالها.

لمح في تلك اللحظة صورة جهاز التلفاز وهو يبثُّ صورةً مذيعةً حسناءً وفي

الخلفية صورةً أرشيفيةً للمحكمة التي من المزمع عقد المحاكمة المرتقبة فيها، فالتقط جهاز التحكم ثم رفع صوت التلفاز ليسمعا في تلك اللحظة وهي تقول بحماسٍ جارفٍ:

- والآن السيدات والسادة، ننتقل في إذاعةٍ خارجيةٍ إلى محكمة جنایات أمن الدولة العليا طوارئٍ في التجمع الخامس بالقاهرة الجديدة، لنقل وقائع المحاكمة التاريخية المرتقبة للمُتهم بالتخابر لحساب دولة إسرائيل أكرم ناجي، وقد تمَّ ترحيله إلى قاعة المحكمة صباح اليوم من سجن العقرب و... عند هذا الحد انتبه وصمَّ أذنيه عن سماع باقي الحديث وعيناه تبرق فجأةً وانتفض من مقعده بانفعالٍ جارفٍ وهو يهتف بحماسٍ مُتقدٍ:

- لقد جانبنا الصواب في تحليلنا للأمر يا حازم، فليس المقصود من الرسالة النصية صاحب برج العقرب كما كنا نظنَّ، بل الصواب صاحب سجن العقرب وهو أكرم الذي من المؤكَّد أنهم في سبيلهم للتخلُّص منه عن طريق توأمه الإسرائيلي!

قال عبارته ثم خطف مسدسه عن سطح مكتبه وغادر الحجرة كالعاصفة، ثم استقلَّ سيارته وانطلق بها كالبرق باتجاه محكمة القاهرة الجديدة، وضربات قلبه تتسارع بعنفٍ لخوفه من الوصول إلى المحكمة بعد فوات

الأوان، وأثناء انطلاقه بسيارته أبطأ من سرعتها مرغمًا بسبب ازدحام الطريق بالسيارات أثناء فترة الذروة، فأخذ يهوي بقبضته على عجلة القيادة مُطلقاً نفيراً متواصلًا وهو يصرخ بحنق:

- أريد المرور بالله عليكم، فلا وقت لدي لهذا الزحام اللعين!

وما من مجيبٍ فالطريق أصابه الشلل التام من تكدُّس السيارات ولم يَعدْ هناك مفرٌّ من مغادرة السيارة، رمقَ دراجةً ناريةً تقف بجانب الطريق يستقلها أحد الشباب ودون تردد انطلق صوبه ثم أزاحه من فوقها وهو يهتف به بحزم:

- معذرةً أيها الشاب، ولكنها دواعٍ أمنيةً عاجلةً.

وثب فوق الدراجة النارية، ثم انطلق بها بين السيارات والمارة ببراعةٍ فائقةٍ متخطياً ذلك الزحام وهو يُمني نفسه بالوصول إلى قاعة المحكمة في الوقت المناسب قبل تنفيذ يائيل مخططه القذر.

دارت في عقله أفكارٌ عدَّة، من وجوب أن يأخذ الآثم جزاء جُرمه، وما اقترفتُ يده ولا يمضي بفعلته دون عقابٍ رادعٍ وقصاصٍ عادلٍ. وبينما هو في لُجة أفكاره لاح له مبنى المحكمة في الأفق، ولم يكد يقترب منه حتى ضغط كابح الدراجة بقوةٍ ثم انطلق إلى باحة المحكمة ومنها إلى ممرِّ

طويلٍ ينتهي بحجرة دخول وكلاء النيابة إلى قاعة المحكمة فافتحمها بسرعةٍ  
ومنها إلى باب الدخول إلى القاعة.

ثم توقف وهو يحدِّق في قفص الاتهام الذي بدا أكرم ناجي بداخله سليمًا  
معافً ودار بعينيه في القاعة الواسعة التي اكتظت بمئات الإعلاميين من  
مختلف الجنسيات ترافقهم آلات التصوير التلفزيونية لبتِّ وقائع أول جلسة  
محاكمةٍ علنيةٍ لجاسوسٍ في التاريخ.

وتوقَّف بصره في الجهة المقابلة للقفص عند شخصٍ بعينه يحمل اسم يائيل  
شيمون ويتخفَّى خلف قناع توأمه مختار ناجي فوجده يجلس مرتدياً حُلَّةً  
سوداء تزيّنها فراشةٌ ذهبيةٌ ثبَّتْها على ياقة الجاكيت، وعلى شفّتيه ابتسامةٌ  
ساخرةٌ جذلي كأنه لا يبالي بتلك المحاكمة الجنائية لتوأمه، التي قد تؤدي  
إلى وصمه بالخيانة لوطنه ومن ثم تطويق أنشطة الإعدام لعنقه. وفي تلك  
الأثناء كان ممثل الادعاء قد فرغ من مرافحته، عندها أشار القاضي إلى أكرم  
لبدء دفاعه عن نفسه حسب طلبه وبالفعل تنفس الصعداء قبل أن يقول  
بحماسٍ:

- في البداية أؤكد لسيادتكم أنني كنتُ أنتظرُ هذا اليوم بفارغ الصبر حتى  
أعترف على أنني...

استرسل في حديثه الذي لم ينتبه إليه المقدم طاهر وهو يرمق حلية جاكيت يائيل بتلك الفراشة الذهبية، وفي لحظةٍ برق عقله بحقيقة كنهها، من أنها ليست فراشةً بريئةً المظهر كما تبدو!

فهو بحكم عمله كرجل أمنٍ اطلع مؤخراً على تلك الوثيقة السرية التي تؤكد على ابتكار القسم الفني في الموساد لتلك الفراشة القاتلة المبرمجة على بصمةٍ جينيةٍ لمن يبغون التخلص منه، عندها وكالسهم تنطلق الفراشة قاصدةً رأس الهدف لتخترق تلافيف جمجمته وتبتّ سمّها فيه، ثم تذوب في دمائه مخلقةً جثةً لا يُعرف لها تشخيص وفاةٍ.

وفي تلك اللحظة، همّ يائيل أن يضغط جناحيها لتنتقل من كُمونها، وهنا انتبه المقدم طاهر على حقيقةٍ مخيفةٍ وهي أنه لم يعد أمامه متسعٌ من الوقت لعباراتٍ تحذيريةٍ بعد أن سبق السيف العذل، عندها وبلا تردّدٍ انتزع مسدسه من غمده وصوبه تجاه يائيل، تحديداً صوب ياقة الجاكيت، وفي الوقت نفسه استلّ رجال أمن القاعة مسدساتهم وصوبوها أيضاً باتجاه المقدم طاهر نفسه، ليشهق بقوةٍ جميع الحاضرين في القاعة وتلنت إليه جميع عدسات التصوير بعيونٍ مُلتاعةٍ وصرخاتٍ مذعورةٍ انطلقت من الأفواه كالهدير في سماء القاعة لينتاب الحشد الغفير حالةً من الهرج والمرج وهم يتدافعون كالسيل الجارف للخروج من أبواب القاعة.



بلا مقدماتٍ، ضغط المقدم طاهر زناد مسدسه الآلي بكلِّ قوّته وكردِّ فعلٍ طبيعيٍّ وفي الثانية نفسها انطلقت رصاصات رجال الأمن لتصيب هدفها بكلِّ دقةٍ كذلك رصاصاته التي أصابت هدفها قبل ثانيةٍ واحدةٍ من انطلاق الفراشة، لتنتقل العشرون رصاصةً كاملةً بسعة خزان مسدسه في صدر غريمه الإسرائيلي الذي تفجّرت الدماء من صدره أنهاراً حتى أصبح صدره كالمصفاة من كثرة ما به من ثقبٍ ليسقط أرضاً مضرّجاً بدمائه تصاحبه الصرخات الملتاعة بعد أن خاب مسعاه.

قبل أن يسقط المقدم طاهر تلقاه أحد وكلاء النيابة بين ذراعيه وأرقدته أرض المنصة بهدوءٍ وهو يصرخ بهلح:

- أسرعوا باستدعاء الإسعاف بالله عليكم، فهذا الرجل ينزف الدماء بغزارةٍ وما هي ثوانٍ ويفقد حياته كلها.

نزع وشاحه وأخذ يحاول جاهداً منع تدفق الدماء الغزيرة المتدفقة من صدره وهو يستطرد بذهولٍ:

- ما هذا الذي فعلته وأريقته له كل هذه الدماء؟! ولماذا تضحي بحياتك في سبيل القضاء على هذا الرجل؟

لم ينبس المقدم طاهر ببنت شفةٍ وعقله يسترجع الأحداث كلها منذ

البداية، فمرت أمام عينيه كشريط سينمائي يمضي بالعرض البطيء؛ فطافت في مخيلته صورة شقيقه الوحيد طارق وهو في ليلة خطبته منتشياً بسعادة الدنيا كلها وكأنه مسّ نجوم السماء بيديه وهو يتأبط ذراع خطيبته كأمرء عشاقٍ من زمن الفرسان أو أساطير آليس في بلاد العجائب، ثم انتقل به المشهد ليراه في سيارته المسحوقة متفحماً دون جريرة ارتكبتها سوى أنه صادف وجوده في المكان لحظة ارتكاب هذا القاتل لجريمته، وطاف بذهنه مشاهدٌ عدّة من لحظات صراعه مع غريمه الإسرائيلي أمام مبناه والسيارة المسرعة، والهليوكوبتر وهي تطارده وانفجارها الرهيب، أسياخ الحديد المتساقطة من السماء، سقوطه من السماء، وسرادق العزاء.

وهنا تجمّد المشهد أمام عينيه، وذرف من مقلتيه دموعاً حارةً ملتهبةً وهو يغمغم بخشوع:

- فلترقد في قبرك مطمئناً يا أخي الحبيب، أنت وكل الضحايا الأبرياء، لقد اقتص الله لك في الدنيا من هذا السفاح الآدمي، (وَلَعَدَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) (طه ١٢٧).

ومن بعيدٍ دوى صوت سارينة سيارة الإسعاف في طريقها إلى المبنى، ليتسمّر الزمن عند هذه النقطة الفارقة مترقباً تحديد مصير بطلنا، في لحظةٍ حرجةٍ للغاية.



## المؤلف في سطور

راضي عبد المقصود السيد محروس

\*كاتب مصري،،،

\*شارك في الكتاب الجماعي ألم الاشتياق بقصتي فتاه أخرى ودم الشهيد

تحت الطبع:

\*رواية مقبرة الغموض

المجموعة القصصية سفير جهنم

للتواصل مع الكاتب:

[radiabdo.radiabdo@yahoo.com](mailto:radiabdo.radiabdo@yahoo.com)

صفحة رواية لحظات حرجة على الفيس بوك:

<https://www.facebook.com/Criticalmoments.By.RadiAbdo>



للاطلاع على أحدث إصدارات مؤسسة إبداع

يرجى زيارة الموقع الإلكتروني

[www.prints.ibda3-tp.com](http://www.prints.ibda3-tp.com)

# لمحطات حرجة

روايةً بارعةً للكاتب راضي عبده، يمزج فيها بين الغامرة والتشويق والجانب الإنساني المميز لبطل الرواية. وهي تتضمن العديد من عناصر الإثارة والمواقف الشيقية، كتبت بأسلوب رشيق وإيقاع سريع للأحداث، مضاف إليه عنصر درامي يتعلق ببطل الرواية. وتدور تفاصيلها في مناطق متفرقة، وتشمل شخصيات متنوعة، تحيةً مُستحقةً للكاتب البار راضي عبده على هذا العمل الممتع الذي يستحق الإشادة والتقدير. / شريف شوقي

روايةً مُثوقةً تتميز بالنبض السريع تنامي الأحداث بأسلوب وصفي، يجمع الكاتب بمهارة الزمان والمكان والجو النفسي والشخصيات، لتعطي الرواية إحساساً عميقاً بفكرتها المتميزة، التي تكشف عن حس وطني للكاتب راضي عبده في أولى إبداعاته، ليسطر معالم كاتب متميز.

سيكون له مكانة مرموقة مع توالي أعماله الأدبية. / محمد صلاح ذكريا

